# الإدارة في عصر الرسول ﷺ

## الفصل الخامس

### الإدارة العسكرية

أولًا : التمويل .

ثانيًا : الخدمات المساعدة .

ثالثًا : القيادة .

رابعًا : التخطيط وأساليب القتال .

obeikan.com

obeikan.com

## أولًا : التمويل

كان على المقاتل ابتداءً أن يعد نفسه للجهاد فيشتري جمله أو حصانه ويشتري سلاحه ويحمل معه إذا خرج للقتال زاده ومتاعه [١] ، يذكر أنس بن مالك ( ت٩١هـ ) في حديثه عن معركة بدر ( ٢هـ ) أن الرسول ﷺ أمر من كان ظهره حاضرًا بالخروج معه [٢] وذكر عمرو بن العاص ( ت٤٣هـ ) قال : « إنه بعث إليَّ النبيُّ ﷺ فقال : « **خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتني** » فقال : « **إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك** » [٣] وذكر ابن إسحاق ( ت١٥١هـ ) أن النبي ﷺ كان يأمر أهله أن يجهزوه عندما يخرج للجهاد [٤] .

لقد كان قلة إمكانات المسلمين تجعل بعض السرايا تخرج على الأقدام كما يتضح مما ذكره ابن سعد ( ت٢٣٠هـ ) عن سعد بن أبي وقاص ( ت٥٥هـ ) قوله عن سرية الخرار ( ٢هـ ) : « فخرجنا على أقدامنا » [٥] وهذا ما حصل في غزوة ذي العشيرة ( ٢هـ ) إذ كان البعير يتعاقبه الرجلان والثلاثة [٦] .

وكان المقاتل يستعير – أحيانًا – سلاحه من أحد الموسرين على أن يكون له النصف من الغنيمة [٧] وكان النبي ﷺ يأمر لمن لا يجد بجهاز من لا يخرج إلى الجهاد بسبب مرض أو غيره ، فقد ذكر أنس بن مالك ( ت٩١هـ ) : أن فتى من الأنصار قال :

---

(١) عبد الرؤوف عون ، الفن الحربي في صدر الإسلام ، القاهرة ، دار المعارف ( ١٩٦١م ) ، ( ص١٢٥ ) ، العدوي نظم ( ص٣١٣ ) .

(٢) مسلم ، الصحيح ( جـ٣ ، ص١٥١٠ ) . ابن كثير ، البداية والنهاية ( جـ٣ ، ص٢٧٧ ) .

(٣) ابن حجر ، الإصابة ( جـ٣ ، ص٣ ) . وانظر أخبار هذه الغزوة في : ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٦٢٥ ) .

(٤) الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص١٠١ ) ( ابن إسحاق ) .

(٥) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص١١ ) . ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص٧ ) الخرار : هو موضع بالحجاز ، يقال : قرب الجحفة وقيل : واد من أودية المدينة . انظر : ياقوت ، معجم البلدان ( جـ٢ ، ص٣٥٠ ) .

(٦) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص٩ ، ١٠ ) . وانظر : ابن هشام ، السيرة ( م١ ، ص٥٩٩ ) قال : عن عصار بن ياسر ، قال : « كنت وعلي بن أبي طالب رفيقين في هذه الغزوة » .

(٧) ابن عبد الحكيم ، الحكم بن عبد الرحمن عبد الله ( ت ٢٥٧ هـ ) ، فتوح مصر وأخبارها ، ليدن ( ١٩٢٠م ) ، ( ص ٦٣ ) . وانظر : عواد الجيش والقتال في صدر الإسلام ( ط١ ) الزرقاء ، الأردن ، مكتبة المنار ( ١٩٨٧م ) ( ص١٠٠ ) .

اللّه ، إني أريد الجهاد وليس لي مال أتجهز به ، قال : « **اذهب إلى فلان الأنصاري فإنه قد تجهز ومرض ، فقل : إن رسول اللّه يقرئك السلام ويقول لك : ادفع إليَّ ما تجهزت به** » ، فقال له ذلك فقال : يا فلانة ادفعي إليه ما جهزتني به ولا تحبسي عنه شيئًا فإنك والله إن حبست عنه شيئًا لايبارك اللّه لك فيه [١] . قال عفان : إن فتًى من أسلم .

وكان النبي ﷺ يحض الموسرين على تجهيز غيرهم من الفقراء فقال : « **من جهز غازيًا في سبيل اللّه فقد غزا ، ومن خلَّف غازيًا في أهله بخير فقد غزا** » [٢] فاستجاب المسلمون لذلك ، ففي تبوك ( ٩ هـ ) تصدق عثمان بألف دينار ، وقدم ثلاثمِائة بعير بأحلاسها وأقتابها [٣] فقال النبي ﷺ : « **ما ضر عثمان ما فعل بعد ذلك** » [٤] وذكر ابن إسحاق ( ت ١٥١ هـ ) أن يامين بن عمير بن كعب النضري ( صحابي ) زود اثنين من البكائين بناضح له في تبوك [٥] . وكذلك حمل العباس ( ت ٣٢ هـ ) منهم رجلين وحمل عثمان ثلاثة ، وتبرع عبد الرحمن بن عوف ( ت ٣٢ هـ ) بأربعة آلاف دينار وهي نصف ماله [٦] ، وتبرع أبو بكر بماله البالغ أربعة آلاف درهم وجاء عمر بنصف ماله [٧] ، وتبرع طلحة في غزوات مختلفة حتى سماه الرسول ﷺ طلحة الجود أو طلحة الخير [٨] ، وذكر الأصبهاني ( ت ٤٣٠ هـ ) في حديثه عن تبوك أن ابن عوف حمل على خمسمائة فرس [٩] ، كما قدم سعد بن عبادة ( ت ١٢ هـ ) مالًا وكذلك محمد بن مسلمة ، وتصدق عاصم بن عدي بمِائة وسق من التمر [١٠] ، في حين أعان نوفل بن

---

(١) أحمد ، المسند ( جـ٣ ، ص٢٠٧ ) . وانظر : صحيح مسلم ، الصحيح ( جـ٣ ، ص١٥٠٦ ) .

(٢) مسلم ، الصحيح ( جـ٣ ، ص١٥٠٦ ) . النَّسائي ، السنن ( جـ٦ ، ص٤٦ ) . ابن حجر ، فتح الباري ( جـ١٢ ، ص١٣٢ ) .

(٣) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٥١٨ ) . اليعقوبي ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٦٧ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص١٠٢ ) . ابن عبد البر ، الاستيعاب ( جـ٣ ، ص١٠٣٧ - ١٠٤٠ ) .

(٤) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٥١٨ ) . ابن سعد ، الطبقات ( جـ٧ ، ص٧٨ ) . ابن كثير ، البداية والنهاية ( جـ٥ ، ص٤ ) .

(٥) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٥١٨ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص١٠٢ ) ( ابن إسحاق ) . الناضح هنا : البعير الذي يستقى عليه الماء . انظر : ابن منظور ، اللسان ( جـ٢ ، ص٩١ ) .

(٦) الواقدي ، المغازي ( جـ٣ ، ص٩٩١ ) . ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٥١٨ ) . اليعقوبي ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٦٧ ) . وانظر: عواد الجيش والقتال ( ص١٠١ ) . (٧) الواقدي ، المغازي ( جـ٣ ، ص٩٩١ ) .

(٨) م . ن ( جـ٣ ، ص٩٩١ ) .

(٩) الأصبهاني ، حلية ( جـ١ ، ص٩٩ ) ( الزهري ) .

(١٠) الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص١٠٢ ) . ابن عبد البر ، الاستيعاب ( جـ٣ ، ص١٠٣٧ - ١٠٤٠ ) .

الحارث ( ت ١٥هـ ) بثلاثة آلاف رمح [١] .

وأوقف بعض المسلمين أموالهم في سبيل اللّه ، فيذكر الشيباني ( ت ١٨٩هـ ) أن المسلمين صاروا يوقفون الخيل وغيرها من الدواب في سبيل الله [٢] . ويتضح مما ذكر الشيباني والماوردي أن دور المسلمين قد تحول - عند الحاجة - إلى تبني مسؤولية تحمل أعباء النفقة على الجيش وتجهيزه [٣] ، فيذكر المقريزي ( ت٨٤٥هـ ) أن النساء في غزوة تبوك تبرعن بحليهن حتى كُنَّ ينزعنها ويقدمنها تطوعًا في سبيل اللّه ، فقد قالت أم سنان الأسلمية : لقد رأيت ثوبًا مبسوطًا بين يدي رسول اللّه ﷺ في بيت عائشة فيه مسك ومعاضد وخلاخل وأقرطة وخواتيم وقد ملئ بما بعثت به النساء ليُعن في جهازهم [٤] .

وشكلت الغنائم جزءًا رئيسيًّا في تجهيز المقاتلة وإمدادهم بالسلاح وغيره ، فقد ذكر الواقدي ( ت٢٠٧هـ ) أن المسلمين في بدر ما رجع أحدهم يريد أن يركب إلَّا وجد ظهرًا حتى حصل بعضهم على البعير والبعيرين وألبس من كان عاريًا وأصابوا طعامًا من أزوادهم وأصابوا فداء الأسرى الذي أغنى كل عائل [٥] ، وذكر ابن إسحاق (ت١٥١هـ) قول عبد الرحمن بن عوف ( ت ٣٢هـ ) : « حتى إذا كان يوم بدر مررت بأمية بن خلف واقف مع ابنه علي آخذ بيده ومعي أدراع قد استلبتها » [٦] وأخذ النبي ﷺ سلاحًا كثيرًا من بني قينقاع ( ٣هـ ) [٧] وفي بني النضير وجد من الحلقة خمسين درعًا وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفًا [٨] وفي بني قريظة غنم المسلمون ألفًا وخمسمِائة سيف وثلاثمائة درع وألفي رمح وخمسمِائة ترس وجحفة [٩] . وصالح أهل خيبر ( ٧ هـ ) على أن له الحلقة وسائر السلاح [١٠] وذكر ابن سعد ( ت٢٣٠هـ )

---

( ١ ) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٤ ، ص٤٧ ) . وانظر : عواد ، الجيش والقتال ( ص١٠١ ) .

( ٢ ) الشيباني ، شرح السير الكبير ( جـ٤ ، ص٢٠٧٩ ) .

( ٣ ) الشيباني ، شرح السير الكبير ( جـ١ ، ص١٣٩ ) . الماوردي ، الأحكام ( ص٢١٤ - ٥١٢ ) .

( ٤ ) المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٤٤٧ ) . وانظر : الكاندهلوي محمد يوسف محمد ، حياة الصحابة ( ط١ ) حيدر أباد ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ( ١٣٨٦هـ ) ، ( جـ١ ، ص٤٠٥ ) . عواد ، الجيش والقتال ( ص١٠١ ) .

( ٥ ) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٢٦ ) . ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص٢٠ ) . المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٢٤ ) .

( ٦ ) الطبري ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٤٥١ ) ( ابن إسحاق ) . ( ٧ ) م . ن ( ص٥٥٤ ) ( ابن إسحاق ) .

( ٨ ) البلاذري ، فتوح ( ص٢٧ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٥٨ ) ابن القيم ، زاد ( جـ٣ ، ص١٢٩ ) . وابن سيد الناس ، عيون الأثر ( جـ٢ ، ص٦٩ ، ٧٠ ) .

( ٩ ) الطبري ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٧٥ ) المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٢٤٥ ) .

( ١٠ ) البلاذري ، فتوح ( ص٣٤ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٢ ، ص١١٠ ) ( ابن عمر ) . وابن سيد الناس ، عيون الأثر ( جـ٢ ، ص١٧٩ ) .

أن النبي ﷺ لما أسر نوفل بن الحارث في بدر قال له : « **افد نفسك برماحك التي بجدة** » .. ففدى نفسه بها وكانت ألف رمح [١] .

ولقد سمح للمقاتل باستخدام الأسلحة من الغنيمة قبل أن تقسم على أن يرد ذلك بعد انتهاء المعركة [٢] ، يقول المقريزي ( ت٨٤٥هـ ) : « وكان من احتاج إلى السلاح ليقاتل به يأخذه من صاحب المغنم ثم يرده إليه » [٣] ، ويروي الواقدي ( ت٢٠٧ هـ ) أن النبي ﷺ وجد في حصن النطاة ( في خيبر سنة ٧ هـ ) منجنيقًا فاستعمله في القتال وكذلك وجدت آلة للحرب في حصن صعب فاستعملت في المعركة [٤] .

وحاول النبي ﷺ أن يوفر السلاح عن طريق استعارة الأسلحة ففي غزوة هوازن ( ٨هـ ) ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدرعًا وسلاحًا فأرسل إليه يقول : « **يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدًا** » فقال : أغصبًا يا محمد ؟ قال : « **بل عارية وهي مضمونة حتى نؤديها إليك** » فأعطاه مِائة درع بما يكفيها من السلاح [٥] ، كما اقترض النبي ﷺ في حنين أربعين ألف درهم من عبد اللّه بن أبي ربيعة وردها له بعد عودته من المعركة [٦] واقترض كذلك خمسين ألفًا أخرى من صفوان بن أمية ثم ردها إليه[٧] .

وكان الشراء وسيلة أخرى لتوفير ما يحتاجه المسلمون من سلاح فقد أرسل النبي ﷺ قسمًا من خمس ما غنمه من قريظة مع سعد بن زيد الأنصاري إلى نجد فباعهم واشترى بثمنهم خيلًا وسلاحًا [٨] ، وذكر بريدة بن الحصيب ( ت ٦٣هـ ) أن الرسول ﷺ اشترى في تبوك ( ٩ هـ ) ستة أبعرة فأرسل إلى أبي موسى فقال : « **خذها فانطلق**

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٤ ، ص٣١ ) . وانظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ( جـ٤ ، ص ١٥١٢ ، ١٥١٣ ) . الذهبي ، السيرة ( جـ١ ، ص١٩٩ ) . الكتاني ، التراتيب الإدارية ( جـ٢ ، ص٣٨ ) .

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام ( ت٢٢٤ هـ ) غريب الحديث ( ط١ ) حيدر أباد ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ( ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م ) ، ( جـ ٤ ، ص٤٥٧ ) .

(٣) المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٢٢٣ ) .

(٤) الواقدي ، المغازي ( جـ٢ ، ص٦٤٧ ، ٦٤٨ ) . المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٣١٢ - ٣١٨ ) . وانظر : عواد ، الجيش والقتال ( ص١٠٣ ) .

(٥) المسعودي ، التنبيه والإشراف ( ص ٢٣٤ ) . ابن سيد الناس ، عيون الأثر ( جـ٢ ، ص٢٤٤ ) .

(٦) الأصفهاني ، حلية ( جـ٨ ، ص٣٧٥ ) .

(٧) ابن عساكر علي بن الحسين بن هبة اللّه ( ت٥٧١ هـ ) ، تهذيب تاريخ دمشق ، تهذيب : عبد القادر بدران ( ط١ ) دمشق المكتبة العربية د . ت ( جـ١ ، ص٤٢٨ ) .

(٨) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٢٤٥ ) . ابن كثير ، البداية والنهاية ( جـ٣ ، ص١٢٦ ) . المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٢٥١ ) . وانظر : عواد ، الجيش والقتال ( ص١٠٤ ) .

**بها إلى أصحابك »** [١] وذكر الواقدي ( ت ٢٠٧هـ ) أن الرسول ﷺ أمر المسلمين أن ينفقوا من أموالهم لشراء السلاح والعتاد لتجهيز الفقراء ، فأعظم الناس النفقة فقام النبي ﷺ بتجهيزهم [٢] .

وكان من وسائل النبي ﷺ في الحصول على الأسلحة أن النبي ﷺ شرط على البعض في عقود الصلح التي عقدها على تزويد المسلمين بالأسلحة ، فقد ذكر الزهري ( ت١٢٤هـ ) أن الرسول ﷺ صالح بني النضير على أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة إلا الحلقة [٣] ، وصالح النبي ﷺ أهل خيبر ( ٧هـ ) [٤] وأكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل [٥] وأهل مقنا [٦] وأهل نجران [٧] على ترك السلاح أو دفعه كجزء من الجزية .

لقد احتاج المقاتلة أيضًا إلى الثياب فقام النبي ﷺ بالحصول عليه كذلك عن طريق معاهدات الصلح فكانت معاهدة نجران تنص على : « ألفيْ حلة : ألف حلة في صفر وألف حلة في رجب » [٨] . وكذلك أهل مقنا « صالحهم على ربع ما اغتزلت نساؤهم » [٩] . ووجد النبي ﷺ في خيبر خمسمائة قطيفة ( نوع من الثياب ) [١٠] . وجاء كتاب النبي ﷺ إلى معاذ بن جبل ( ت١٩هـ ) في اليمن أنه طلب أخذ الجزية أو عدل ذلك من المعافر وهي نوع من الثياب [١١] ، وكذلك ذكر أبو يوسف ( ت١٧٩هـ ) أن النبي ﷺ فرض على كل من بلغ الحلم من مجوس اليمن دينارًا أو قيمته من المعافر [١٢] .

أما الوسيلة الأخرى لتجهيز المقاتلة باللباس فهو ما يحصلون عليه من عدوهم ، فذكر

---

(١) ابن حجر ، فتح الباري ( جـ٨ ، ص١١٠ ) .

(٢) الواقدي ، المغازي ( جـ٣ ، ص٩٩١ - ٩٩٤ ) . وانظر : عواد ، الجيش والقتال ( ص٤٠ ) .

(٣) أبو عبيد ، الأموال ( ص١٤ ، ١٥ ) . البلاذري ، فتوح ( ص٢٧ ) . قدامة ، الخراج ( ص٢٥٧ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص٥٥٤ ) ( الواقدي ) .

(٤) قدامة بن جعفر ، الخراج ( ص٢٥٨ ) . المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٣١٩ ) .

(٥) م . ن ( ص٢٧٠ ) .

(٦) البلاذري ، فتوح ( ص٨٠ ، ٨١ ) ( الواقدي ) . ابن حجر ، فتح الباري ( جـ٣ ، ص٣٦٦ ) .

(٧) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص١٦٦ ) . البلاذري ، فتوح ( ص٨٥ ) . قدامة بن جعفر ، الخراج ( ص٢٧١ ) .

(٨) البلاذري ، فتوح ( ص٨٥ ) .

(٩) م . ن ( ص٨٠ ، ٨١ ) ( الواقدي ) .

(١٠) المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٣١٨ ) .

(١١) البلاذري ، فتوح ( ص٦٧ ) ( ابن إسحاق ) . المعافر : حي من همذان وإليهم تنسب الثياب المعافرية . انظر : ابن منظور ، اللسان ( جـ٤ ، ص٥٩٠ ) .

(١٢) أبو يوسف ، الخراج ( ص٧٨ ) . البلاذري ، فتوح ( ص٦٧ ) . وانظر : عواد ، الجيش والقتال ( ص١٠٨ ) .

ابن سعد ( ت٢٣٠هـ ) : « أن الرسول ﷺ جمع أمتعة بني قريظة وما وجد في حصونهم من الحلقة والأثاث والثياب » [١] ، وحصل المسلمون على المتاع كذلك في غزوة المريسيع ( ٦هـ ) [٢] ، وغزوة خيبر ( ٧هـ ) [٣] .

وكان تجهيز الجيش بالطعام يتم بطرق متعددة . فقد كان التمر أغلب زاد الجند يضاف إليه السويق واللحوم مقددة أو طازجة ، فكان المحارب يصطحب معه زاده في رحله ، ذكر الواقدي ( ت٢٠٧هـ ) : أن واثلة بن الأسقع الليثي ( ت٨٣هـ ) عندما أراد الخروج مع رسول اللّه إلى تبوك فقال لأخته : جهزي أخاك جهاز غاز فإن الرسول ﷺ على جناح سفر ، فأعطته مُدًّا من دقيق ، فعجن الدقيق في الدلو ، وأعطته تمرًا فأخذه [٤] وذكر أيضًا أن الرجل في تبوك كان يحمل معه الدقيق والسويق والتمر [٥] .

وكان تبرع الموسرين بالطعام وسيلة أخرى لتوفير الطعام ، فكان سعد بن عبادة خلال حصار بني النضير يأتي المسلمين بالتمر من عنده ، كما أمد المسلمين بلحوم الإبل في غزوة حمراء الأسد ( ٣هـ ) فكانوا ينحرون اثنين في يوم وثلاثة في يوم آخر [٦] ، وذكر ابن سعد ( ت٢٣٠هـ ) أن قيس بن سعد بن عبادة ( ت٦٠هـ ) ابتاع في غزوة الخبط ( ٨هـ ) جزورًا ونحرها للمقاتلة [٧] ، وذكر البلاذري ( ت٣٧٩هـ ) أن عثمان بن عفان كفى ثلث الجيش مؤونتهم في الغزوة ذاتها [٨] وكانت الغنيمة تشكل مصدرًا أساسيًّا في الحصول على الطعام ، وكان العلف بمنزلة الطعام ، إذ إن المقاتل مسؤول عن إطعام نفسه وركوبته ؛ ولذا فقد سمح للمقاتلين باستخدام الطعام والعلف من الغنيمة [٩] فذكر أبو مالك الأشعري قال : بعثنا رسول اللّه في سرية ، وأمر علينا سعد بن أبي وقاص

---

( ١ ) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص٥٤ ) . البلاذري ، فتوح ( ص٣٢ ، ٣٣ ) ( ابن عباس ) .

( ٢ ) المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص١٩٨ ) .

( ٣ ) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٣٣١ ) ( ابن إسحاق ) . وابن حجر ، فتح الباري ( جـ١٣ ، ص٦٠ ) . الترمذي ، الجامع ( جـ٣ ، ص٦٨ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص٩ ) . ( ابن إسحاق ) . وانظر : عواد ، الجيش والقتال ( ص١٠٩ ) .

( ٤ ) الوقدي ، المغازي ( جـ٣ ، ص١٠٢٨ ) .

( ٥ ) م . ن ( جـ١ ، ص٣٣٨ ) . ( جـ٣ ، ص١٠٣٨ ) . وانظر : عواد ، الجيش والقتال ( ص١٠٩ ) .

( ٦ ) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٣٣٨ ) . الحلبي ، السيرة الحلبية ( جـ٣ ، ص١٨٤ ) . عون ، الفن الحربي ( ص١٠٦ ) .

( ٧ ) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص١٣٢ ) .

( ٨ ) البلاذري ، أنساب ( جـ١ ، ص٣٦٨ ) . المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٤٤٧ ) . وانظر : عواد ، الجيش والقتال ( ص١١٠ ) .

( ٩ ) الشيباني ، شرح السير ( جـ٣ ، ص١٠١٧ - ١٠١٩ ) . الشافعي ، الأم ( جـ٤ ، ص٢٦٠ ) . المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٤٨٣ ) .

فسرنا حتى نزلنا منزلًا . فقام رجل وأسرج دابته فقلت : أين تريد ؟ . قال : أريد العلف [١] . وفي سرية عبد اللَّه بن جحش ( ١هـ ) إلى نخلة قالوا له : إنَّا قد أقوينا ( أنهكنا الجوع ) فأعطنا من الغنيمة [٢] . وذكر الشيباني ( ت١٨٩هـ ) أن المسلمين في خيبر أصابوا طعامًا فأكلوا منه قبل أن تقسم ، حيث نفل رسول اللَّه ﷺ الناس والخبز والطبيخ والشواء وما أكلوا في بطونهم [٣] ، وفي هذا ذكر ابن عمر ( ت٧٣هـ ) قول رسول اللَّه ﷺ : « **أدوا الخيط والمخيط ، وكلوا ، واعلفوا ، ولا تحملوا** » وذكر البخاري ( ت٢٥٦هـ ) قول ابن عمر ( ت٧٣هـ ) :كنا نصيب في معاركنا العسل والعنب فنأكله ولا نرفعه [٤] .

ويلاحظ أيضًا أن بعض اتفاقيات الصلح قد تضمنت شرطًا بضيافة رسل المسلمين أو من مر بهم من رسل المسلمين كما في صلح نجران [٥] ، وتبالة وجرش [٦] ، وأيلة [٧] .

وكان النبي ﷺ يزود المقاتلة بشيء من المؤن ، فقد ذكر سعد بن أبي وقاص ( ت ٥٥هـ ) في حديثه عن غزوة الغابة ( سنة ٦هـ ) قال : « قسم رسول اللَّه ﷺ في كل مِائة من أصحابه جزورًا ينحرونها » [٨] ، وكذلك في غزوة الخبط ( سنة٢هـ ) زودهم بجراب تمر وكان يقول : « وكان يقبض لنا أبو عبيدة قبضة من تمر ثم يقسمها تمرة تمرة فنمضغها ونشرب عليها الماء إلى الليل » [٩] .

وهكذا فإن النبي ﷺ حاول بشتى الطرق تجهيز المقاتلة بما يحتاجونه من سلاح وعتاد ، وبلغ حرص النبي على ذلك أنه خطط لإعداد السلاح داخليًا لئلَّا يتحكم به أحد في الساعات الحرجة ، فيذكر أن النبي ﷺ أرسل عروة بن مسعود ( ت ١٠هـ ) وغيلان بن سلمة إلى جرش ليتعلما صناعة الدبابات والمنجنيقات والعرادات ، وهي

---

(١) الكاندهلوي ، حياة الصحابة ( جـ١ ، ص٤٨٣ ) .

(٢) الزمخشري ، محمود بن عمرو ( ت٥٨٣ ) ، الفائق في غريب الحديث ، ( ط١ ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ( ١٣٦٤هـ ، ١٩٤٥م ) ، ( جـ٢ ، ص٣٨٤ ) .

(٣) الشيباني ، شرح السير ( جـ٣ ، ص١٠١٩ ) . ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص١١٢ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص١٠ ) .

(٤) الشيباني ، شرح السير ( جـ٣ ، ص١٠١٩ ) ( ابن عمر ) .

(٥) ابن حجر ، فتح الباري ( جـ١٣ ، ص١٢٢ ) .

(٦) البلاذري ، فتوح ( ص١٨٥ ) ( الزهري ) .

(٧) م.ن ( ص ٧٩ ) ( الزهري ) . قدامة ، الخراج ( ص٢٩٦ ) ( الزهري ) . وانظر : عواد ، الجيش والقتال ( ص١٠٨ ) .

(٨) البلاذري ، فتوح ( ص١٨٠ ) . قدامة بن جعفر ، الخراج ( ص٢٧٠ ) . وانظر : عواد الجيش والقتال ( ص١٠٨ ) .

(٩) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص٨١ ) .

أضخم الآلات الحربية [١] آنذاك . ومما يشير إلى المستوى الذي بلغه الجيش في عدته أن النبي ﷺ خرج في ( ٧هـ ) لأداء العمرة ، وساق معه الهدي ، وحمل معه السلاح البيض والرماح وقاد مائة فرس [٢] ، وفي فتح مكة ( سنة٨ هـ ) سار النبي ﷺ في كتيبته الخضراء لا يُرى منهم إلا الحدق من الحديد [٣] ، وفي حصار الطائف استعمل النبي ﷺ الحسك كآلة من آلات الحصار لإعاقة تحرك العدو ومنعه من الدنو من معسكر المسلمين [٤] .

* * *

( ١ ) الواقدي ، المغازي ( جـ٣ ، ص٩٢٧ ) . ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٤٨٣ ) . البلاذري ، أنساب ( جـ١ ، ص٣٦٦ ) . البيهقي ، دلائل ( جـ ٥ ، ص ١٦١ ) . ابن خلدون ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٤٧ ، ٤٨ ) .

( ٢ ) الصالحي الشامي ، سبل الهدى ( جـ٥ ، ص٢٨٩ ) .

(٣) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٤٠٤ ) ( ابن إسحاق ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص٥٤ ) .ابن الأثير ، الكامل ( جـ٣، ص٢٤٥ ، ٢٤٦ ) .

( ٤ ) الحسك : شوك مدحرج لا يكاد أحد يمشي عليه إلا من كان في رجليه خف أو نعل ، وذلك لمنع العدو من الدنو . انظر : ابن سيده أبا الحسن علي بن إسماعيل ( ت٤٥٨ ) ، المخصص ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، د . ت ( جـ٦ ، م٢ ، ص٧٤ ) . ابن منظور ، اللسان ( جـ٦ ، ص٦٣٦ ) . المقريزي ، إمتاع ( ص٤١٩ ) .

obeikan.com

## ثانيًا : الخدمات المساعدة

لقد كان من مهام « الإدارة النبوية » توفير الخدمات المساعدة للمقاتلة حتى يستطيع هؤلاء أن يقوموا بمهماتهم على أكمل وجه ، وقد استخدم النبي هذه الخدمات بتنظيم وفعالية عالية .

فاستخدم النبي ﷺ : « الأدلاء » لتوفير المعلومات اللازمة عن طبيعة الأرض التي سيقاتل عليها ، ففي غزوة غطفان استخدم جبار الثعلبي [١] ، وفي أحد استخدم أبو خيثمة الحارثي ( ت٣٠ هـ ) [٢] ويقال : أوس بن قبطي أو محيصة بن مسعود الأنصاري [٣] ، وكان الدليل إلى حمراء الأسد ثابت بن قيس ( ت ٤٥هـ ) من الخزرج [٤] ، في حين اتخذ النبي ﷺ دليلًا من بني عذرة في غزوة دومة الجندل رجلًا يقال له مذكور [٥] ، وكان دليلهم في غزوة خيبر حسيل بن نويرة الأشجعي [٦] ، كما كان الدليل في تبوك ( سنة ٩هـ ) علقمة الخزاعي [٧] .

ويلاحظ أن قادة الرسول ﷺ وأمراءه استخدموا « الأدلاء » وقد اتخذ أبو سلمة بن عبد الأسدي « الأدلاء » في سريته إلى طليحة الأسدي [٨] كما أوصى النبي ﷺ أسامة

(١) ابن حجر ، الإصابة ( جـ١ ، ص٢٢٠ ) . الكتاني ، التراتيب ( جـ١ ، ص٤٤٩ ) . عواد ، الجيش والقتال ( ص١١٨ ) .

(٢) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٢١٨ ) . ابن سيد الناس ، عيون الأثر ( جـ٢ ، ص٩ ) . ابن كثير ، البداية والنهاية ( جـ٤ ، ص١٤ ) المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص١١٩ ) .

(٣) ابن حزم ، جوامع ( ص١٥٧ ، ١٥٨ ) . ابن حجر ، الإصابة ( جـ١ ، ص٨٧ ) ، ( جـ٣ ، ص٣٨٨ ) . المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص١١٩ ) . عواد ، الجيش والقتال ( ص١١٩ ) .

(٤) ابن سيد الناس ، عيون الأثر ( جـ٢ ، ص١١٢ ) ، ( جـ٢ ، ص٥٤ ) . ابن حجر ، الإصابة ( جـ١ ، ص١٩٣ ) . الكتاني ، التراتيب الإدارية ( جـ١ ، ص٣٤٩ ) . عواد ، الجيش والقتال ( ص١١٨ ) .

(٥) ابن القيم ، زاد ( جـ٢ ، ص١١٢ ) . ابن كثير ، البداية والنهاية ( جـ٤ ، ص٩٢ ) .ابن حجر ، الإصابة ( جـ٣ ، ص٣٦٩ ) . الذهبي ، تاريخ ( جـ١ ، ص١ ، ٢٢٩ ) . عواد ، الجيش والقتال ( ص١١٩ ) .

(٦) الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص٩٩ ) . ابن حجر ، الإصابة ( جـ١ ، ص٣٣٣ ) . الديار ، بكري حسين بن محمد ابن الحسن ( ت٦١٩هـ ) ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ( ط١ ) ( ١٣٠٢هـ ) ، ( جـ٢ ، ص٤٨ ) . الكتاني ، التراتيب ( جـ١ ، ص ٣٤٩) .

(٧) ابن القيم ، زاد ( جـ٢ ، ص١١٢ ) . ابن كثير البداية والنهاية ( جـ٤ ، ص٩٢ ) . الذهبي ، تاريخ ( جـ١ ، ق١ ، ص٢٢٩ ) . عواد ، الجيش والقتال ( ص١١٩ ) .

(٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ( جـ٤ ، ص٦٢ ) .

ابن زيد عندما وجهه في غزوة للشام فقال له : « .. **وخذ معك الأدلاء** » [١] .

لقد كان هؤلاء الأدلاء يقومون بدور كبير في توفير المعلومات ، وتحديد مسير الجيش ، ومعرفة أماكن الكلاء ، فذكر ابن إسحاق ( ت١٥١هـ ) أن الرسول ﷺ عندما علم بخبر اجتماع قريش له في أثناء مسيره إلى الحديبية ( سنة٦هـ ) سأل أصحابه : « **من رجل يخرج بنا عن طريقهم التي هم فيها** » [٢] .

ولقد أفاد النبي ﷺ من بعض المتعاونين من الأعداء ، فاتخذهم أدلاء له مقابل فوائد يأخذونها ، فقد استخدم حسيل بن نويرة الأشجعي دليلًا له إلى خيبر مقابل إعطائه عشرين صاعًا من التمر [٣] ، واستخدم أبا سلمة بن عبد الأسدي دليلًا من بني أسد وأعطاه نصيبًا من المغنم [٤] ، كما تكرر هذا في مسيرة العلاء بن الحضرمي ( ت١٤هـ ) إلى الخط على الساحل حيث جاء نصراني ودله على مخاضة يعبر منها إلى مقصده ، واشترط أن يُعطَى مقابل ذلك أهل بيت هناك [٥] .

وكان وظيفة « الحاشر » وظيفة أخرى مساعدة ، وهو شخص يرافق المقاتلة إلى جهات القتال ، وتكون مهمته حشر الجند . يقول الشيباني ( ت١٨٩هـ ) : واستعملوا حاشرًا لئلَّا يتخلفوا عن اللحق بأول الجيش » [٦] . وهذه الوظيفة ذات أهمية كبيرة ولاسيما عندما يكون عدد الجند كبيرًا .

قام النبي ﷺ بدور « الحاشر » في بعض الغزوات ، فكان في أثناء سيره مع المقاتلة يتقدم مرة ويتأخرة مرة « لينظر في أمورهم ، فيساعد الجند المتأخر ، ويردف الراجل ، ويعفي الضعيف » [٧] ولذا قال الهرثمي ( ت٢٣٤هـ ) : « ليكن خلف ساقتك رجل جلد في قوة من أصحابه ، يحشر الجند إليك ، ويلحقهم بك ، ولا يرضى لأحد منهم

---

(١) ابن سيد الناس ، عيون الأثر ( جـ٢ ، ص٣٥٥ ) . وانظر : عواد ، الجيش والقتال ( ص١١٩ ) .

(٢) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٣٠٩ ) ( ابن إسحاق ) .

(٣) الطبري ، تاريخ ( جـ ٣ ، ص ٢٣ ) ( ابن إسحاق ) . ابن حجر ، الإصابة ( جـ٢ ، ص٣٣٦ ) الديار بكري ، تاريخ الخميس ( جـ١٢ ، ص٤٨ ) . الكتاني ، التراتيب ( جـ١ ، ص٣٤٩ ) . عواد ، الجيش والقتال ( ص١٢٠ ) .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ( جـ٤ ، ص٦٢ ) . عواد ، الجيش والقتال ( ص١٢١ ) .

(٥) الكلاعي ، أبو الربيع سليمان بن موسى ( ت٦٣٤هـ ) ، حروب الردة ، تحقيق أحمد غنيم ( ط٢ ) دار الاتحاد العربي للطباعة ( ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م ) ، ( ص٢٠٢ ) .

(٦) الشيباني ، شرح السير ( جـ١ ، ص٢١٤ ) . الهرثمي ، أبو سعيد الشعراني ( ت٢٣٤هـ ) ، مختصر سياسة الحروب ، تحقيق : عبد الرؤوف عون ، القاهرة لجنة التأليف والطباعة ، د . ت ( ص٢٩ ) .

(٧) الماوردي ، الأحكام ( ص٣٥ ) . النويري ، نهاية الأرب ( جـ٦ ، ص١٥٢ ) .

في التخلف عنك » [١] .

وكان يتقدم الجيوش في تحركها « العيون » تكون مهمتهم جمع المعلومات عن الطريق وعن تحركات العدو ، وقد اتخذ النبي ﷺ العيون في جميع تحركاته ، فقد ذكر في قصة الهجرة أن عائشة ( ت٥٨هـ ) قالت : « وكان عبد اللّه بن أبي بكر ( ت١٦هـ ) يأتيهما بأخبار قريش وهو غلام شاب فطن » [٢] ، وفي سرية عبيدة بن الحارث ( سنة٢هـ ) خرج المقداد بن عمرو ( ت٣٣هـ ) وعتبة بن غزوان ( ت١٧هـ ) يتواصلان الكفار [٣] ، وكانت سرية عبد اللّه بن جحش ( سنة١هـ ) إلى نخلة ذات هدف استطلاعي ، فقد جاء في الكتاب الذي أعطاه له رسول اللّه ﷺ « **إذا نظرت في كتابي هذا فامضِ حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ، فترصد قريشًا ، وتعلم لنا أخبارهم** » [٤] ، وبعث الرسول ﷺ طلحة بن عبيد وسعيد بن زيد قبل خروجه إلى بدر بعشر ليالي يتحسسان خبر العير وهي عائدة من الشام [٥] . وذكر أنس بن مالك ( ت٩١هـ ) أن الرسول ﷺ بعث بسبس بن عمرو ومدي بن الزغباء إلى بدر طليعة للتعرف إلى أخبار القافلة [٦] ، وفي أحد ( سنة٣هـ ) أرسل الرسول ﷺ أنسًا ومؤنسًا ابني فضالة يلتمسان له أخبار قريش فعلمنا أنهما قاربا المدينة [٧] . وبعث بعد ذلك الحباب بن المنذر فأتاه بخبر قريش [٨] ، في حين كان العباس ( ت٣٢ هـ ) يكتب بأخبار المشركين إلى الرسول اللّه ﷺ من مكة [٩] ، وفي أحد أرسل العباس رجلًا من بني غفار إلى الرسول ﷺ يخبره باستعداد قريش للخروج إليه وجاء في الكتاب : « اصنع ما كنت صانعًا إذا وردوا عليك ، وتقدم

---

( ١ ) الهرثمي ، مختصر ( ص٢٩ ) .

( ٢ ) ابن حجر ، الإصابة ( جـ٢ ، ص٢٨٣ ) . الكتاني ، التراتيب ( جـ١ ، ص٣٦١ ) .

( ٣ ) ابن هشام ، السيرة ( م١ ، ص٥٩٢ ) . ابن سيد الناس ، عيون الأثر ( جـ١ ، ص٢٧١ ) . ابن كثير ، البداية والنهاية ( جـ٣ ، ص٢٤٣ ) .

( ٤ ) ابن هشام ، السيرة ( م١ ، ص٦٠٢ ) . وانظر : الطبري ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٤١١ ) ، ( ابن إسحاق ) . ابن الأثير ، الكامل ( جـ٢ ، ص١١٣ ) .

( ٥ ) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص١٩ ، ٢٠ ) . عون ، الفن الحربي ( ص٢١٣ ) .

( ٦ ) ابن حجر ، فتح الباري ( جـ٢١ ، ص٣٠٠ ) . وانظر : ابن الأثير ، الكامل ( جـ٢ ، ص١١٩ ) . الكتاني ، التراتيب ( جـ١ ، ص٣٦١ ) .

( ٧ ) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٢٠٦ ) . ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص١٢ ) . المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص١١٥ ) .

( ٨ ) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٢٠٦ ) . ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص١٢ ) .

( ٩ ) المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص١١٤ ) .

في استعداد التأهب » [١] وتفيد هذه الواقعة أن نجاح المسلمين في رصد تحركات قريش كان عاملًا أساسيًا في منع قريش من الدخول إلى المدينة ومفاجأة المسلمين قبل استعدادهم .

وكان النبي ﷺ يوصي أمراءه باتخاذ العيون ؛ إذ إنه لما بعث أسامة بن زيد في بعث الشام قال له : « **فخذ معك الأدلاء وقدم الصوت والطلائع** » [٢] .

ويبدو أن التجار قاموا بدور ما كطليعة من الطلائع استفاد منهم الرسول ﷺ ، فلقد قدمت قافلة ( سنة٩هـ ) ذكرت للنبي ﷺ أن الروم قد جمعوا جموعًا كثيرة في الشام ، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة ، وأنه استنفر العرب المتنصرة ، فأمر الرسول ﷺ بغزو الروم [٣] ، وكذلك قام الأعراب الموالين للرسول ﷺ بهذا الدور فيذكر ابن سعد ( ت٢٣٠هـ ) أن أبا تميم الأسلمي أرسل غلامه مسعود بن هنيدة من العرج [٤] على قدميه إلى رسول اللّه ﷺ يخبره بقدوم قريش وما معهم من العدد والعدة والخيل والسلاح ليوم أحد ( ٣هـ ) [٥] .

ويفترض أن تكون « العيون » عارفة بلغة القوم الذين يرسَلون إليهم ، فلقد أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم لغة يهود ؛ لأنه لا يأمنهم على كتابه [٦] ، وقد وضع الرسول ﷺ منهاجًا دقيقًا لعيونه ، فعلمهم ألَّا يحدث أحدهم حدثًا يبينه للناس ، أو أن يقتل أحدًا إلَّا إذا أجيز له ذلك ، ففي الخندق ( سنة ٥هـ ) أرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان إلى معسكر المشركين وأمره ألَّا يحدث حدثًا حتى يعود [٧] ، وأرسل النبي ﷺ عبد اللّه ابن أبي حدرد الأسلمي ليقيم متنكرًا في هوازن حتى يعلم علمهم ويأتيه بخبرهم [٨] وزيادة في الحذر والحيطة يجب ألا يعرف العين العيون الآخرين [٩] ؛ وذلك لأن

---

(١) البلاذري ، أنساب ( جـ١ ، ص٣١٣ ، ٣١٤ ) . وانظر : اليعقوبي ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٤٧ ) . المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص١١٤ ) .

(٢) ابن سيد الناس ، عيون الأثر ( جـ١٢ ، ص٣٥٥ ) .

(٣) المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٤٤٥ ) .

(٤) العرج : عقبة بين مكة المدينة على جادة الحاج . انظر : ياقوت ، معجم البلدان ( جـ٤ ، ص٩٩ ) .

(٥) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٤ ، ص٣١٠ ) . الكتاني ، التراتيب ( جـ١ ، ص٣٦٢ ) .

(٦) البخاري ، الصحيح ( جـ٩ ، ص٩٤ ) . ابن عبد البر ، الاستيعاب ( جـ٣ ، ص٨٦٥ ) . الكتاني ، التراتيب ( جـ١ ، ص١١٩ ، ١٢٠ ) .

(٧) الطبري ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٥٨٠ ) . الحاكم ، المستدرك ( جـ٣ ، ص٣١ ) . عون ، الفن الحربي ( ص٢١٤ ) .

(٨) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٤٣٩ ، ٤٤٠ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص٧٣ ) ( ابن إسحاق ) . الكتاني ، التراتيب الإدارية ( جـ١ ، ص٢٦٣ ) .

(٩) الهرثمي ، مختصر ( ص٢٤ ) .

الحصول على المعلومات الدقيقة عن حالة الجيش وعدده وتسليحه يفيد في وضع الخطة ، وهذا يتطلب معلومات أقرب ما تكون إلى الواقع ، ولقد ذكر الهروي ( ت٦١١هـ ) مهمات العيون فقال : « إذا خرج بجيشه فليقدم أمامه الجواسيس الثقات يكشفوا له الأخبار ويختاروا له المنازل ، ليعلم إذا سار أين ينزل ، لئلَّا يبقى حائرًا ولئلَّا ينزل اتفاقًا ، فربما نزل بأرض قليلة الماء والعلف فيحيط به العدو فيهلكه ... » [١] .

وكان على قيادة المقاتلة أن تحذر من عيون الأعداء فيروي الحاكم ( ت٤٠٥هـ ) « أن النبي ﷺ أمر بقتل فرات بن حيان - وكان عينًا لأبي سفيان - فمر بمجلس الأنصار فقال : إني مسلم ، فذهبوا به إلى رسول اللَّه ﷺ فقالوا : إنه يزعم أنه مسلم فقال : « **إن منكم رجالًا نكلهم إلى إيمانهم منهم فرات بن حيان** » [٢] .

أما « الخِدمات الطبية » فهي من الخِدمات المساعدة الضرورية في المعارك وقد قامت المرأة بدور كبير في هذا المجال ، وذلك بسقاية الجرحى وإعانتهم وتمريضهم . يذكر الواقدي ( ت٢٠٧هـ ) أن فاطمة ( ت١١هـ ) ضمدت جراح الرسول ﷺ في أحد [٣] وعندما سار إلى خيبر ( ٧هـ ) أذن لأم سنان الأسلمية بالخروج معه لتكون من جملة واجباتها مداواة الجرحى [٤] ، وقد ضربت لها خيمة لهذا الغرض ، وفي الغزوة ذاتها جاءت أمية بنت قيس الغفارية في نسوة من بني غفار ، فقالت : يا رسول اللَّه ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا نداوي الجرحى ونعين المسلمين ما استطعنا ، فقال لها : « **على بركة اللَّه** » [٥] .

وفي غزوة الخندق ( ٥هـ ) كان لرفيدة الأسلمية خيمة في مسجد رسول اللَّه تداوي الجرحى فلما جرح سعد قال الرسول ﷺ : « **اجعلوه في خيمة رفيدة** » [٦] وفي غزوة

---

(١) الهروي ، علي بن أبي بكر بن علي ( ت ٦١١هـ ) ، التذكرة الهروية في الحيل الحربية ، تحقيق مطيع المرابط ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ( ١٩٧٢م ) ، ( ص٨٧ ) .

(٢) الحاكم ، المستدرك ( جـ٢ ، ص١١٥ ) .

(٣) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٢٤٩ ) . ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص٤٨ ) . البخاري ، الصحيح ( جـ٤ ، ص٧٩ ) .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص٢٩٢ ) .

(٥) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٨ ، ص٢٩٣ ) . وانظر : محمد عزة دروزة ، الجهاد في سبيل اللَّه في القرآن ، الحديث ، دمشق ، دار اليقظة العربية ، ( ١٣٩٥هـ ، ١٩٨١م ) ، ( ص١٠١ ) .

(٦) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٢٣٩ ) . ابن سعد ، الطبقات ( جـ٨ ، ص٢٩١ ) . مسلم ، الصحيح ( جـ٣ ص١٣٨٩ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٥٥٦ ) ( ابن إسحاق ) .

حنين ( ٨هـ ) خرجت النساء لتقوم بعملية التمريض [١] ، وذكرت الربيع بنت معوذ أن من الأعمال التي قامت بها النساء عند خروجهن مع رسول اللّه مداواة الجرحى [٢] ، وذكر الشيباني ( ت١٨٩هـ ) أن أم عطية كانت تغزو مع الرسول ﷺ لتقوم على المرضى وتداوي الجرحى [٣] ، وذكر أنس بن مالك ( ت٩١هـ ) أن الرسول ﷺ كان يغزو بأم سلمة ونسوة من الأنصار معه إذا غزا يسقين الماء ويداوين الجرحى [٤] .

وكانت المرأة تشارك - أحيانًا - بالقتال إلى جانب الرجال فيذكر ابن إسحاق (ت١٥١هـ ) قول أم سعد بنت سعد بن الربيع أنه لما انهزم المسلمون في أحد قالت أم عمارة : « فقمت أباشر القتال وأذب عنه ( أي عن رسول اللّه ﷺ ) بالسيف وأرمي عنه بالقوس حتى خلصت إلي الجراح » [٥] ودافعت أم سليم بنت ملحان عن رسول اللّه في أحد كذلك [٦] . وقتلت صفية بنت عبد المطلب يهوديًا في الخندق ( ٥هـ ) [٧] .

وقام بتمهيد الطرق وإصلاح الجسور أو بنائها وحفر الخنادق أو رَدمها أناسٌ مختصون وكان المقاتلة يقومون بمثل هذه الأعمال بأنفسهم ، ففي غزوة الخندق ( ٥هـ ) قسم الرسول ﷺ أعمال الحفر بين المسلمين [٨] وبعث الرسول ﷺ غالب بن عبد اللّه الليثي ( ت٤٨هـ ) عام الفتح ليسهل له الطريق [٩] .

لقد كانت هذه الخدمات ضرورية لقيام المقاتلة بمهماتهم على أكمل وجه ، وحَرَصَت الإدارة النبوية على توفير هذه الخدمات ، وأن تكون على درجة عالية من التنظيم والدقة والإتقان .

* * *

---

(١) الكاندهلوي ، حياة الصحابة ( جـ١ ، ص٥٧٩ ) .

(٢) البخاري ، الصحيح ( جـ٤ ، ص٤١ ) . ابن حجر ، الإصابة ( جـ٤ ، ص٣٠١ ) .

(٣) الشيباني ، شرح كتاب السير ( جـ١ ، ص٣٠١ ) .

(٤) مسلم ، الصحيح ( جـ٣ ، ص٤٤٣ ) . (٥) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٨١ ، ٨٢ ) .

(٦) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٤٤٦ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص٧٦ ) ( ابن إسحاق ) .

(٧) م . ن ( م٢ ، ص٢٢٨ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٥٧٧ ) ( ابن إسحاق ) .

(٨) اليعقوبي ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٤١ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ١٢ ، ص ٥٦٧ ، ٥٦٨ ) . ابن كثير ، البداية والنهاية ( جـ٤ ، ص٦٩ - ٩٩ ) . المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٢٢٠ - ٢٢٣ ) . الكتاني ، التراتيب ( جـ١ ، ص٣٧٦ ) .

(٩) ابن حجر ، الإصابة ( جـ٣ ، ص١٨٤ ) . الكتاني ، التراتيب الإدارية ( جـ١ ، ص٣٧٠ ) .

## ثالثًا : القيادة

كان النبي ﷺ يتولى قيادة المقاتلة بنفسه أو يولي واحدًا من أصحابه وترد إشارات أنه كان يطلق على من يتولى هذه المهمة لقب « أمير » فقد لقب عبد اللّه بن جحش ( ت٣هـ ) في سرية نخلة ( ٢هـ ) بأمير المؤمنين [١] ، وحصل زيد بن حارثة ( ٨هـ ) لقب أمير في سيرته إلى القردة [٢] ، وقال ابن خلدون ( ت٨٠٨ هـ ) : وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الأمير .... وقد كانوا في الجاهلية يدعون النبي ﷺ أمير مكة وأمير الحجاز . وكان الصحابة يدعون سعد بن أبي وقاص أمير المؤمنين لإمارته على جيش القادسية [٣] .

ويلاحظ أن النبي ﷺ قد تجاوز عن بعض الصفات التي كانت مطلوبة في القائد عند القبيلة العربية قبل الإسلام ، فلم تعد القيادة وقفًا على شيوخ القبائل ، بل صارت مفتوحة للجميع حسب القدرة والكفاءة ، وكذلك تجاوز النبي ﷺ عن السن ، فقد استعمل أسامة بن زيد وهو ابن ثماني عشرة سنة على سرية كان فيها أبو بكر وعمر [٤] . وكان هناك من طعن في إمارة أسامة ؛ وذلك لصغر سنه وكونه من الموالي ، فقال النبي ﷺ : **« إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل ، وإنه لخليق للإمارة وكان أبوه خليقًا لها »** [٥] ، وقال : **« إني لأؤمر الرجل على القوم فيهم من هو خير منه ؛ لأنه أيقظ عينًا وأبصر بالحرب »** [٦] .

وأبقى النبي ﷺ على المؤهلات القيادية الأخرى كالشجاعة ، ويتضح ذلك من

---

(١) الواقدي ، المغازي ( جـ ١ ، ص ١٩ ) . ابن سعد ، الطبقات ( جـ ٢ ، ص ١١ ) . ابن القيم ، زاد ( جـ ٢ ، ص ٨٤ ) . المقريزي ، إمتاع ( جـ ١ ، ص ٥٨ ) . (٢) الطبري ، التاريخ ( جـ ٢ ، ص ٤٨٢ ) .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ( ص ٢٢٧ ) . كانوا في الجاهلية : أي كان الجاهلون من الأعراب يدعونه . .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ( جـ ٢ ، ص ١٩٠ ، ١٩١ ) ، ( جـ ٤ ، ص ٦٥ ) . ابن الجوزي ، صفة الصفوة ( جـ ١ ، ص ٥٢٢ ) . ابن سيد الناس ، عيون الأثر ( جـ ٢ ، ص ٣٥٥ ) . وانظر : عواد ، الجيش والقتال ( ص ١٨٣ ) .

(٥) ابن سعد ، الطبقات ( جـ ٢ ، ص ١٩٠ ، ١٩١ ) . ابن الجوزي ، صفة الصفوة ( جـ ١ ، ص ٥٢٢ ) . ابن أبي الحديد ( جـ ١ ، ص ١٥٩ - ١٦٠ ) .

(٦) السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر ( ت ٩١١ هـ ) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار النهضة ( ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م ) .

وصف علي بن أبي طالب شجاعة الرسول ﷺ في بدر بقوله : « كنا إذا حمي الوطيس واحمرت الحدق اتقينا برسول اللَّه ﷺ ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه » [١] .

ويفترض في الأمير أن يكون من أهل الصبر والتحمل ، فيذكر سعد بن أبي وقاص ( ت٥٥هـ ) أن النبي ﷺ قال يوم نخلة ( ٢هـ ) : « **لأبعثن عليكم رجلًا أصبركم على الجوع والعطش** » فبعث علينا عبد اللَّه بن جحش ، فكان أول أمير في الإسلام [٢] .

ويُشترط في الأميرِ كذلك الكفاءة والخبرة بشؤون الحرب ، وقد طبق الرسول ﷺ هذ المبدأ فأمَّر عمرو بن العاصِ على سرية فيها أبو بكر وعمر [٣] ، يقول ابن تيمية ( ت٧٢٨هـ ) : « وأمَّر النبي ﷺ مرة عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل استعطافًا لأقاربه الذين بعثه إليهم على من هم أفضل منه ، وأمَّر أسامة بن زيد لأجل ثأر أبيه ؛ ولذلك كان يستعمل الرجلَ لمصلحة مع أنه قد يكون مع الأمير من هو أفضل منه في العلم والإيمان ، وهكذا أبو بكر خليفة رسول اللَّه ﷺ ما زال يستعمل خالدًا في حرب أهل الردة وفي فتوح العراق والشام ، وبدت منه هفوات كان له فيها تأويل ، وقد ذكر له عنه أنه كان له فيها هوى فلم يعزله من أجلها بل عاتبه عليها لرجحان المصلحة على المفسدة في بقائه ، وأن غيره لم يكن يقوم مقامه ؛ لأن المتولي الكبير إذا كان خلقه يميل إلى اللين فينبغي أن يكون خلق نائبه يميل إلى الشدة ، وإذا كان خلقه يميل إلى الشدة فينبغي أن يكون خلق نائبه يميل إلى اللين ليعتدل الأمر ، ولهذا كان أبو بكر الصديق ﷺ يؤثر استنابة خالد وكان عمر بن الخطاب يؤثر عزل خالد واستنابة أبي عبيدة بن الجراح ﷺ ؛ لأن خالدًا كان شديدًا كعمر بن الخطاب ، وأبا عبيدة كان لينًا كأبي بكر ، وكان الأصلح لكل منهما أن يولي من ولاه ليكون أمره معتدلًا ويكون بذلك من خلفاء رسول اللَّه ﷺ الذي هو معتدل حتى قال النبي ﷺ : « **أنا نبي الرحمة ، أنا نبي الملحمة** » وأمته وسط قال اللَّه تعالى فيهم : ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [ الفتح : ٢٩ ] » [٤] .

ولقد أضاف الإسلام إلى مؤهلات الإمارة التقوى والسبق إلى الإسلام فترد الإشارة إلى أن النبي ﷺ كان إذا أمَّر أميرًا على سرية أوصاه في خاصته بتقوى اللَّه وبمن معه من المسلمين خيرًا [٥] .

---

(١) الطبري ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٢٧٠ ) وهذا يدل على أن الرسول ﷺ كان يترك عريشة القيادة ويباشر القتال بنفسه .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ( جـ٣ ، ص٢٤٨ ) . ابن حجر ، الإصابة ( جـ٢ ، ص٢٨٧ ) .

(٣) اليعقوبى ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٦٤ ) . النويري ، نهاية الأرب ( جـ٦ ، ص١٥٢ ) .

(٤) ابن تيمية ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ( ت٧٢٨هـ ) ، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، تحقيق علي سامي النشار وأحمد زكي عطية ( ط٢ ) مصر ، دار الكتاب العربي ، سنة ( ١٩٥١م ) ، ( ص١٥ ، ١٦ ) .

(٥) الشيباني ، شرح كتاب السير ( جـ١ ، ص٩٣ ) . مسلم ، الصحيح ( جـ٣ ، ص١٣٥٧ ) . ابن كثير ، البداية =

عرف العرب قبل الإسلام شيئًا من تسلسل الرتب القيادية ، فمن الرئيس الذي يتمثل بشيخ القبيلة أو رديفه [١] إلى المنكب بدليل قول عامر بن الطفيل ( ت١٠هـ ) :

ولكني أحمي حماها وأتقى أذاها وأرمي من رماها بمنكب [٢]

وكان المنكب مسؤولًا عن خمسة عرف حيث عرفت عنهم وقد يعرف بدليل قول طريف بن تميم [٣] :

أو كلما وَرَدتْ عكاظَ قبيلةٌ بعثوا إليَّ عريَفهم يتوسَّم [٤]

ويقول علقمة بن عَبَدة :

بل كل قوم وإن غَزَوا وإن كثروا عريفهم بأثافي السر مرجوم [٥]

وعند ظهور الإسلام كان الرسول ﷺ - الرئيس الأعلى للجماعة الإسلامية - يخرج إلى القتال بنفسه [٦] أو يؤمر أحد أصحابه ويزودهم بتوجيهاته ، ومن ذلك ما كتبه لعبد اللّه بن جحش في سرية نخلة [٧] ، وذكر ابن إسحاق ( ت١٥١هـ ) أن النبي ﷺ أمَّر أسامة بن زيد حين بعثه إلى الشام أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين . . » [٨] .

وكانت الوحدة الصغرى في القيادة « العرافة » ، وقد وردت أول إشارة لها في غزوة حنين ( ٩هـ ) . فيروي الواقدي ( ت٣٠٧هـ ) أن الرسول ﷺ جعل الناس في حنين عرافات على كل عشرة عريفًا [٩] . وأشار النبي ﷺ إلى أهمية العرفاء فقال : « **إن العرافة حق ، ولابد للناس من العرفاء ..** » [١٠] ، وكان العريف مسؤولًا عن شؤون عرافته

---

= والنهاية ( جـ٤ ، ص٦١ ) .

(١) محمد فرج ، فن إدارة المعركة في الحروب الإسلامية ، القاهرة ، الشركة العربية المتحدة ، ( ١٩٧٢م ) ، ( ص٢٢ ) .

(٢) ابن الطفيل ، ديوانه ( ص ١٣ ) .

(٣) شاعر جاهلي من فرسان تميم . انظر : الزركلي ، الأعلام ( جـ٣ ، ص٢٢٦ ) .

(٤) ابن سيده ، المخصص ( جـ٣ ، ق١ ، ص١٣٢ ) . ابن منظور ، اللسان ( جـ٣ ، ص٣١٧ ) . ابن الأثير ، الكامل ( جـ١ ، ص٣٦٨ ) . (٥) المفضل الضبي ، المفضليات ( ص٤٠١ ) .

(٦) انظر : ابن هشام ، السيرة ( م١ ، ص٦١٢ ) ، ( م٢ ، ص٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٥ ، ١٩٠ ، ٢٣٤ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩ ، ٣٠٨ ، ٣٢٨ ، ٣٩٩ ، ٤٤٠ ، ٥٢٩ ) . (٧) ابن هشام ، السيرة ( م١ ، ص٤٣٩ ) .

(٨) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٢٧٨ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص١٨٤ ) .

(٩) الواقدي ، المغازي ( جـ٣ ، ص٩٥٢ ) . وانظر : الشافعي ، الأم ( جـ٤ ، ص١٥٨ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٤ ، ص٤٨٨ ) ( الشعبي ) . عون ، الفن الحربي ( ص١١٠ ) . العدوي ، نظم ( ص٣١٣ ) .

(١٠) أبو داود ، السنن ( جـ٣ ، ص٩٢ ، ٩٣ ) .

تجاه الأمير ؛ ولذا قال شارح سنن أبي داود ( ت٢٧٥هـ ) : « إن العرافة تدبير أمور القوم والقيام بسياستهم ، ولابد للناس من العرفاء ليتعرف على أحوالهم في ترتيب البعوث والأخبار والعطايا والسهام وغير ذلك » (١) ، وتتضح أهمية العريف التنظيمية هذه في غزوة حنين عندما اختلف الناس في سبي هوازن فقال لهم النبي ﷺ : « **ارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم** » (٢) وذكر ابن حجر ( ت٨٥٢هـ ) أن جندب بن النعمان الأزدي قدم على النبي ﷺ فأسلم وحسن إسلامه وجعله النبي ﷺ عريف قومه (٣) ، وكان رافع بن خديج الأنصاري عريف قومه بالمدينة (٤) .

وكانت رتبة « النقيب » (٥) من الرتب التي ظهرت في هذه الفترة ، وكان القرآن قد أشار إليها في معرض حديثه عن بني إسرائيل ، وفي بيعة العقبة الثانية طلب النبي ﷺ ممن اجتمع لديه أن يخرجوا اثني عشر نقيبًا كي يتحملوا مسؤولية البيعة والدعوة في المدينة (٦) .

وظهرت رتبة قيادية أخرى هي رتبة « أمير التعبئة » ففي غزوة الفتح ( ٨هـ ) جعل الرسول ﷺ من جيشه عدة أقسام ثم وضع على كل قسم منهم أميرًا كان يتلقى تعليماته من رسول اللّه ﷺ ، فوضع الزبير على فرقة وأمره أن يدخل مكة من كداء ، ووضع سعد بن عبادة على فرقة وأمره أن يدخل من كدي ، ووضع خالد على فرقة وأمره أن يدخل من أسفل مكة ، وكذلك أبو عبيدة دخل من أعلى مكة (٧) ، ويلاحظ أن النبي ﷺ ولى هؤلاء على جيشه وزودهم بالتعليمات الأولية ، إلا أنه ترك لهم حرية الحركة في إدارة المعركة ومواجهة المواقف واتخاذ القرارات الملائمة لواقع الحال دون

---

(١) م . ن ( جـ٣ ، ص٩٢ ، ٩٣ ) .

(٢) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٤٨٩ ) . ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص١٥٦ ) . ابن حجر ، فتح الباري ( جـ٢٧ ، ص١٩٦ ، ١٩٧ ) . الخزاعي ، تخريج الدلالات ( ص٢٤٩ ) .

(٣) ابن حجر ، الإصابة ( جـ١ ، ص٢٥١ ) . (٤) م . ن ( جـ١ ، ص٤٩٦ ) .

(٥) قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ [المائدة : ١٢] . انظر : أبا عبيدة معمر بن مثنى التيمي ( ت٢١٠هـ ) ، مجاز القرآن ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ( ط١ ) مصر ، ( ١٣٧٤هـ ، ١٩٥٤م ) ( جـ١ ، ص١٥٦ ) . ابن قتيبة ، عبد اللّه بن مسلم ( ت٢٧٦هـ ) ، تفسير غريب القرآن ، تحقيق أحمد صقر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ( ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م ) ، ( ص١٤١ ) .

(٦) ابن هشام ، السيرة ( م١ ، ص٤٤٣ ) ( كعب بن مالك ) . ابن كثير ، السيرة ( جـ٢ ، ص١٩٨ ) . ابن كثير ، البداية والنهاية ( جـ٣ ، ص١٦١ ) .

(٧) الصنعاني ، المصنف ( جـ٥ ، ص٢٨٩ ) . ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٤٠٦ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص١١٧، ١١٨ ) ( ابن إسحاق ) . وانظر : عواد ، الجيش والقتال ( ص١٩٢ ) .

الرجوع إلى القائد الأعلى للمقاتلة .

وكان على الأمير أن يقوم بالعناية بجنده والرفق بهم في المسير وعدم تكليفهم فوق طاقتهم ، فكان الرسول ﷺ في أثناء سير المقاتلة يتقدم مرة ويتأخر مرة أخرى لينظر في أمورهم فيساعد المتأخر ويردف الراجل ويعفي الضعيف [١] .

وكان عليه أيضًا أن يشرف على عدة القتال وآلات الحرب [٢] وحال الجند ، كما عليه أن يستشيرهم في المواقف الحرجة كما فعل النبي ﷺ في بدر [٣] ، وأحد [٤] ، والخندق [٥] ، وغيرها في المعارك .

ويقوم الأمير بإثارة حماس جنده وتشجيعهم على القتال ، وترد في ذلك إشارة في القرآن حيث قال اللّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ .. ﴾ [الأنفال : ٦٥] وقد قام النبي ﷺ بتحريض أصحابه على القتال في بدر [٦] وقام أمراؤه بنفس الدور ، فقد حرض عبد اللّه بن رواحة ( ت٨هـ ) جنده في مؤتة فقال : « واللّه يا قوم إن الذي تكرهون لهو الذي خرجتم تطلبون .. الشهادة » [٧] وقال راجزًا :

أقسمتُ يا نفسُ لتنزِلنَّهْ ... لتُكرهنَّهْ أو لتنزِلَن

إن أجلب الناس وشدوا الرنَّه ... ما لِي أراكِ تكرهين الجنَّه [٨]

كان الأمير يتخذ مقرًّا لقيادته في ساحة المعركة فقد أشار سعد بن معاذ ( ت٥هـ ) على رسول اللّه ﷺ في بدر أن يبني له عريشًا ، فكان ذلك [٩] وكان النبي ﷺ يأوي إلى هذا العريش في حالة الراحة أو قبل بداية المعركة ، أما في أثناء القتال فكان النبي ﷺ يباشر القتال بنفسه كما هو واضح من سيرته في أحد [١٠] وحنين [١١] ، واتخذ الرسول ﷺ قبة من أدم في الخندق يأوي إليها عند انتهاء نوبة حراسته [١٢] وكذلك فعل

(١) الماوردي ، الأحكام ( ص٣٥ ) . النويري ، نهاية الأرب ( جـ٦ ، ص١٥٢ ) .
(٢) المراجع والصفحات نفسها .
(٣) ابن هشام ، السيرة ( م١ ، ص٦١٤ ، ٦١٥ ) .
(٤) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٢١٤ ) .
(٥) المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٢٢٠ ) .
(٦) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٥٨ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٢٨١ ) .
(٧) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٣٧٥ ) ( ابن إسحاق ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص٣٧ ) .
(٨) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٣٧٩ ) ( ابن إسحاق ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص٣٩ ، ٤٠ ) ( ابن إسحاق ) .
(٩) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٥٥ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٤٤٨ ) ( ابن إسحاق ) .
(١٠) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٨٤ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٥١٨ ، ٥١٩ ) .
(١١) م . ن ( م٢ ، ص٤٤٢ ، ٤٤٣ ) .
(١٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ( جـ٤ ، ص٩٩ ) . المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٢٢٥ ) .

في غزوة المريسيع [١] .

لقد كان للأمير مجموعة من الحقوق منها حق الطاعة [٢] على جنده حيث ترد الآيات بذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء: ٥٩] . ويتضح ذلك من قول الرسول ﷺ : « **من أطاعني فقد أطاع اللّه ، ومن عصاني فقد عصى اللّه ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصى أميري فقد عصاني** » [٣] وحدد الرسول ﷺ هذه الطاعة بقوله : « **على المرء المسلم السمعُ والطاعةُ فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أُمر بمعصية فلا سَمْعٌ ولا طاعة** » [٤] وترد في هذا الباب قصة الأمير الذي بعثه النبي ﷺ على سرية وأمرهم أن يطيعوه فغضب منهم فأمرهم أن يجمعوا حطبًا ويوقدوا نارًا فيلقوا أنفسهم فيها فرفضوا الأمر [٥] .

ويلاحظ أن جمع الحطب وإشعال النار من المباحات فأطاعوه في ذلك ، أما إهلاك النفس بإلقائها في النار فمن المحرمات فلم يطيعوه وهذا يوضح حدود الطاعة وأصولها .

وكان عقد اللواء والراية من علامات تعين الأمير [٦] ، ويعقد ابن العربي ( ت ٥٤٣هـ ) مقارنة بين اللواء والراية فيقول : « اللواء غير الراية ، فاللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه ، والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفعه الرياح » [٧] وهناك من يرى أن اللواء أصغر حجمًا من الراية [٨] ، ولكن يبدو من خلال الروايات أن اللواء أكبر حجمًا وهو يكون للجيش كله ، أما الرايات فهي للقبائل المختلفة داخل الجيش يحملها قائد تلك القبيلة أو المجموعة [٩] . يذكر ابن سعد ( ت٢٣٠هـ ) أن النبي ﷺ دفع في بدر لواءه لعلي

---

(١) ابن القيم ، زاد ( جـ٢ ، ص١١٢ ) . ابن سيد الناس ، عيون الأثر ( جـ٢ ، ص١٢٣ ) . وانظر : عواد ، الجيش والقتال ( ص١٩٧ ) .

(٢) الماوردي ، الأحكام ( ص٤٨ ) .

(٣) أحمد ، المسند ( جـ٢ ، ص٩٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٧٠ ) . البخاري ، الصحيح ( جـ٩ ، ص٦٦ ) . مسلم ، الصحيح ( جـ٣ ، ص١٤٦٩ ) . النسائي ، السنن ( جـ٧ ، ص١٥٤ ) . ابن ماجه ، السنن ( جـ١ ، ص٤ ) .

(٤) مسلم ، الصحيح ( جـ٣ ، ص١٤٦٩ ) .

(٥) الشيباني ، شرح كتاب السير ( جـ١ ، ص١٦٦ ) . الواقدي ( جـ٣ ، ص٩٨٣ ) . ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص١٦٣ ) . أحمد ، المسند ( جـ٢ ، ص٤٧ ، ٤٨ ) . مسلم ، الصحيح ( جـ٣ ، ص١٤٦٩ ) .

(٦) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص٧ ) .

(٧) انظر : الصنعاني ، المصنف ( جـ٥ ، ص٢٨٩ ) ( ابن العربي ) . ابن حجر ، الفتح ( جـ٦ ، ص ١٢٦ ) ( الهامش ) . الخزاعي ، تخريج الدلالات ( ص٣٥٨ ) . الكتاني ، التراتيب الإدارية ( جـ١ ، ص٣١٨ ) .

(٨) انظر : الجزائرلي ، اختصار ورقة ( ٧ ) .

(٩) ابن حجر ، الفتح ( جـ٦ ، ص١٢٦ ) . وانظر : مصطفى جواد ، الراية واللواء ( ص١٢٦ ) . عواد ، الجيش والقتال ( ص٢٠٨٢ ) .

ابن أبي طالب ودفع رايته إلى الخباب بن المنذر ، وراية أخرى إلى سعد بن عبادة [١] ، وترد الإشارات إلى عقد الرايات إلى جانب اللواء في أحد [٢] ، وخيبر [٣] ، وفتح مكة ، حيث أفرد لكل قبيلة رايتها [٤] .

ويتخذ اللواء والراية من قطعة من نسيج [٥] ، يذكر خليفة بن خياط ( ت٢٤٠هـ ) « أن راية رسول اللَّه ﷺ يوم أحد كانت مربعًا مرحلًا أسود من مراحل كان لعائشة » [٦] ، وطلب الرسول ﷺ من بريدة بن الحصيب ألا يدخل المدينة إلَّا ومعه لواء ، فجعل بريدة من عمامته لواء [٧] .

وكان لواء النبي ﷺ - في الغالب - من نسيج أبيض اللون ولكنه استخدم ألوانًا أخرى لراياته فكان لون رايته « العقاب » أسود [٨] . وفي حنين اتخذت ألوان أخرى لراياته التي كان يعقدها [٩] . وذكر ابن عباس ( ت ٦٨هـ ) أن لواء الرسول ﷺ كتب عليه لا إله إلا اللَّه محمدًا رسول اللَّه [١٠] .

وتتخذ الراية الشكل المربع - في الغالب - فيذكر البراء بن عازب أن راية رسول اللَّه ﷺ كانت مربعة [١١] وكانت أبعادها ذراعًا في ذراع [١٢] وكانت تعقد على رمح بدليل قول العباس بن مِرداس السُّلَمي في حنين :

نَصَرنا رسولَ اللَّهِ من غَضَب لَهُ ... بألف كميٍّ ما يُعد حواسِره

حملنا له على عامل الرمح راية ... يذود بها في حومة الموت ناصره [١٣]

---

( ١ ) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص١٠٦ ) . ( ٢ ) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٥٨ ) .

( ٣ ) م . ن ( جـ١ ، ص٢١٥ ) . الذهبي ، تاريخ ( جـ١ ، ق١ ، ص١٨٨ ) .

( ٤ ) م . ن ( جـ٢ ، ص٨٠٠ ) . ابن حجر ، الفتح ( جـ٦ ، ص١٢٦ ) .

( ٥ ) الدنيوري ، الأخبار الطوال ( ص١٧٤ ) . وانظر : مصطفى جواد ، الراية واللواء وأمثالها مجلة لغة العرب (جـ٨ ، ص٥٧٣ ) .

( ٦ ) خليفة ، تاريخ ( جـ١ ، ص٦٧ ) . ( ٧ ) الكتاني ، التراتيب الإدارية ( جـ١ ، ص٣١٧ ) .

( ٨ ) الصنعاني ، المصنف ( جـ٥ ، ص٢٨٩ ) . الكتاني ، التراتيب الإدارية ( جـ١ ، ص٣٢٠ - ٣٢٢ ) .

( ٩ ) أبو يوسف ، الخراج ( ص٢٠٨ ) . الديار بكري ، تاريخ الخميس ( جـ٢ ، ص٢١١ ) .

( ١٠ ) ابن حجر ، الفتح ( جـ٧ ، ص٤٧٧ ) . الخزاعي ، تخريج الدلالات ( ص ٣٥٧ ) . الكتاني ، التراتيب الإدارية ( جـ١ ، ص٣٢٢ ) . وانظر : الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ( ت ١٢٥٥هـ ) ، نيل الأوطار في أحاديث سيد الأخيار ، بيروت ، دار الجيل ، ( ١٩٧٣م ) ( جـ٨ ، ص٦٠ ، ٦١ ) .

( ١١ ) أبو داود ، السنن ( جـ٢ ، ص٣٣٧ ) .

( ١٢ ) ابن حجر ، الفتح ( جـ٦ ، ص١٢٦ ) . الدياربكري ، تاريخ الخميس ( جـ٢ ، ص٢١١ ) .

( ١٣ ) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٤٦٨ ، ٤٦٩ ) . عامل الرمح : ما يلي السنان وهو دون الثعلب ، حواسره : مجموعة الذين لا دروع عليهم ، يقال : رجل حاسر إذا لم يكن عليه درج . انظر : ابن هشام ، السيرة ( ص٤٦٨ ، ٤٦٩ ) .

ونظرًا لأهمية الراية فكانت تدفع إلى خيرة الناس عقيدة وتجربة ، ففي إحدى الوقائع أخذ النبي ﷺ الراية فهزها ثم قال : « **من يأخذها بحقها ؟** » فقال رجل : أنا ، فقال : « **امض** » ثم جاء رجل فقال : « **امض ..** » [١] وفي هذا دلالة على دقة اختيار النبي ﷺ لحامل الراية ، وتشير المصادر إلى أن النبي ﷺ قال يوم خيبر : « « **لأدفعن الراية غدًا إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله** » فدفعها إلى علي بن أبي طالب فانطلق بها [٢] .

وفي مرحلة متأخرة كان النبي ﷺ إذا بعث قائدًا يعقد له اللواء ويسلمه له بعد تسمية الله ، ثم ينصح له فيركزه أمام المسجد أو أمام بيته ليجتمع عنده الخارجون للغزو بمتاعهم استعدادًا للرحيل . ذكر ابن سعد ( ت٢٣٠هـ ) أنه لما بعث أسامة إلى البلقاء استدعاه النبي ﷺ وعقد له اللواء رمزًا للقيادة ، فركزه بالجوف خارج المدينة وعسكر الناس حوله . فلما توفي الرسول ﷺ عاد أسامة باللواء وركزه أمام بيت النبي ﷺ ، وظل هكذا حتى بويع لأبي بكر بالخلافة فأمر أن يركز اللواء أمام بيت أسامة ليمضي به [٣] .

وكان النبي ﷺ يستعرض أصحابه قبل الخروج إلى المعركة ، أو في أثناء السير إلى الجهة التي يقصدها فقد استعرض النبي جنده في بدر وأحد [٤] فيرد صغار السن والضعاف . وقد رد النبي ﷺ يوم أحد زيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم [٥] ، ويذكر ابن حجر ( ت ٨٥٢هـ ) في ترجمته لسمرة بن جندب قال : « إن النبي ﷺ كان يعرض غلمان الأنصار في كل عام قمرية ، وعرض عليه سمرة بن جندب فرده ، قال سمرة : فقلت : يا رسول الله لقد أجزت غلامًا ورددتني ، ولو صارعني لصرعته ، قال : **فدونك فصارعه** ، قال : فصارعته فصرعته ، فأجازني في البعث » [٦] .

---

(١) البخاري ، الصحيح ( جـ٤ ، ص٦٥ ) . وانظر : ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٣٣٤ ) ، ( ابن إسحاق ) . ابن ماجه ، السنن ( جـ١ ، ص٤٣ ، ٤٤ ) .

(٢) الصنعاني ، المصنف ( جـ٥ ، ص٢٨٨ ) . البخاري ، الصحيح ( جـ٤ ، ص٥٧ ، ٥٨ ) . الترمذي ، الصحيح ( جـ١٣ ، ص١٧١ ، ١٧٢ ) .

(٣) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص١٩٠ ، ١٩١ ) . وانظر : عون ، الفن الحربي ( ص٨٠ ) . عواد ، الجيش والقتال ( ص٢١٣ ) .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص١٢ ) .

(٥) ابن حبان ، الثقات ( جـ١ ، ص٢٢٤ ) . ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٥٦٦ ) .

(٦) ابن حجر ، الإصابة ( جـ٢ ، ص٧٨ ، ٧٩ ) . الكتاني ، التراتيب الإدارية ( جـ١ ، ص٢٣٢ ) . وكان القرآن قد أعذر أصحاب الأمراض والضعاف من القتال فقال : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [ التوبة : ٩١ ] .

وكان المسلمون جميعًا عماد جيش الرسول ﷺ يدعوهم للقتال فيجتمعون ، وبعد انتهاء المعركة أو العودة من الغزو كان هؤلاء يتفرقون في شؤونهم الخاصة .

أما تعبئة المقاتلة فكانت تتم بصورة دقيقة ، فقد وردت ابتداءً كلمة « عبء » في حديث عبد الرحمن بن عوف ( ت ٣٢هـ ) عن غزوة بدر لقوله : « عبأنا النبي ﷺ ببدر ليلًا » (١) والمقصود بكلمة « عبأ » هنا مع فعله النبي ﷺ من ترتيب المقاتلة وصفِّهم للقتال في موضعهم وتهيئتهم (٢) ، وتعبر كذلك عن كل ما يقوم به المقاتلة من تحركات استعدادًا للقتال (٣) ، وقد عبأ النبي ﷺ المسلمين في أحد ( ٣هـ ) وأشار القرآن إلى ذلك فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ [آل عمران : ١٢١] وذكر الواقدي ( ت ٢٠٧هـ ) أن الرسول ﷺ غدا إلى أحد فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح (٤) .

وعُرفت التعبئة الخماسية في عهد النبي ﷺ حيث كان يتم تقسيم القوات في أثناء سيرها إلى المعركة إلى خمسة أقسام : مقدمة وقلب وجناحين ( ميمنة وميسرة ) وساقة وعلى هذه الهيئة سارت قوات المسلمين إلى بدر (٥) ، وأحد (٦) ، وبني المصطلق (٧) ، وخيبر (٨) إذ خرج أهلها يقولون : « محمد والخميس » (٩) وكذلك اتبع هذا التنظيم في أثناء سير المقاتلة إلى مكة (١٠) ، وحنين (١١) ، وتبوك (١٢) ؛ وذلك لأنه يقلل إلى حد أدنى من الخسائر في حالة مباغتة العدو أو مهاجمته .

---

(١) الترمذي ، الصحيح ( جـ٧ ، ص١٧٥ ) . ابن منظور ، اللسان ( جـ٢ ، ص٦٦١ ) . ابن كثير ، البداية والنهاية (جـ٣ ، ص٢٧١ ) .

(٢) ابن منظور ، اللسان ( جـ٢ ، ص٦٦١ ) . وانظر : عبد الجبار السامرائي ، نظم التعبئة عند العرب مجلة المورد (م١٢ ) عدد ( ٤ ) تصدر عن وزارة الثقافة العراقية ( ١٩٥٣م ) ، ( ص٧ ) .

(٣) السامرائي ، نظم التعبئة ( ص٧ ) .

(٤) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٣١٩ ) . أبو عبيدة ، مجاز القرآن ( جـ٢ ، ص١٠٣ ) . ابن قتيبة ، تفسير (ص٤٦٤ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٧ ، ص١٥٩ - ١٦٣ ) .

(٥) ابن هشام ، السيرة ( م١ ، ص٦١٢ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٢ ، ٢٧٣ ) .

(٦) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٢١٥ ) .

(٧) المسعودي ، التنبيه والإشراف ( ص٢١٥ ، ٢١٦ ) .

(٨) الديار بكري ، تاريخ الخميس ( جـ٢ ، ص٤٧ ) . ابن حجر ، الفتح ( جـ٧ ، ص٤٦٧ ) .

(٩) الديار بكري ، تاريخ الخميس ( جـ٢ ، ص٤٧ ) . (١٠) الواقدي ، المغازي ( جـ٢ ، ص٨٠١ ، ٨٠٢ ) .

(١١) م . ن ( جـ٣ ، ص٨٩٢ ) . الكتاني ، التراتيب الإدارية ( جـ١ ، ص٣٢٦ ) .

(١٢) اليعقوبي ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٥٧ ) . وانظر : عواد ، الجيش والقتال ( ص٢١٩ ) .

لقد كان يراعي في تقسيم القوات وضع أهل التجارب والبأس والنجدة والقوة في القلب أمام الصفوف ، وأهل التجارب وأصحاب الرمي وطلاب الكر في الميمنة أما الصفوف وأهل التجارب والحيَل ردءًا للقلب ، أما الضعفاء والجبناء فيوضعون عادة خلف الجيش عند المتاع [١] .

ويقدم أمام المقاتلة في أثناء سيرهم « الطلائع » وهم أصحابُ الخيولِ السبق الماهرون ، فكانوا يقومون بالتعرف إلى الطريق وتحديد أماكن القوات المعادية في حال وجودها [٢] . ويذكر الواقدي ( ت٢٠٧هـ ) أن النبي ﷺ قدم الزبير بن العوام ( ت٣٦هـ ) أمامه في أثناء سيره إلى مكة وأرسل معه مائتين من المسلمين [٣] .

أما طريقة سير أجزاء المقاتلة فتخضع لرأي الأمير حسب معطيات الخطة وطبيعة الأرض ومكان وزمان المعركة ، فقد ذكر الواقدي ( ت ٢٠٧هـ ) في حديثه عن غزوة الفتح ( ٨هـ ) قال : « ومرت القبائل على قادتها والكتائب على راياتها » [٤] .

وفي أثناء توقف المقاتلة للراحة أو المبيت يختار الأمير موطنًا تتوافر فيه نواحي الأمن والمياه والمرعى ، ويمكن الاستفادة من العوارض الطبيعية كالتلال والجبال لأنها تشكل موانع تمنع هجمات العدو المباغتة [٥] ، ففي أحد ( ٣هـ ) جعل النبي ﷺ أحدًا خلف ظهر المسلمين [٦] .

ثم على الأمير أن يبث الحرس حول المعسكر لدواعي الأمن والحراسة [٧] . وقد وردت أحاديث تبين أهمية الحرس فقال ﷺ : « **عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله** » [٨] ، وذكر ابن سعد ( ت٢٣٠هـ ) أن النبي ﷺ جعل محمد بن مسلمة على الحرس في أحد فكان يطوف حولهم في خمسين رجلًا [٩] ، وكان على حرس الرسول ﷺ يوم الحديبية أوس بن خولة وعبادة بن بشر

---

(١) الهرثمي ، مختصر ( ص٣٦ ، ٣٧ ) .
(٢) م . ن ( ص٢٩ ) . وانظر : السامرائي ، نظم التعبئة ( ص١٣ ) .
(٣) الواقدي ، المغازي ( جـ٢ ، ص٨٠١ ) .
(٤) الواقدي ، المغازي ( جـ٢ ، ص٨١٨ ) .
(٥) عواد ، الجيش والقتال ( ص٢٢١ ) .
(٦) الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص١٣ ) . ابن القيم ، زاد ( جـ٥ ، ص٩٢ ) . المقريزي ، إمتاع ( ص١٢٤ ، ١٢٥ ) .
(٧) الهرثمي ، مختصر ( ص٣١ ، ٣٢ ) . الهروي ، التذكرة ( ص٨٨ ) . عون ، الفن الحربي ( ص٢٠٩ ) .
(٨) الترمذي ، الصحيح ( جـ٧ ، ص١٣٨ ) .
(٩) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص٣٩ ) . البلاذري ، أنساب ( جـ١ ، ص٣١٥ ) . المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص١١٩ ) .

ومحمد بن مسلمة [١] وكانت الحراسة في خيبر نوبًا بين المسلمين حتى فتح اللّه حصن النطاة [٢] وفي حنين ( ٨هـ ) قام أنس بن أبي مرثد بحراسة المسلمين حتى الصباح [٣] ، وفي تبوك ( ٩هـ ) كان على الحرس عباد بن بشر وكان يطوف في أصحابه حول العسكر [٤] .

وكان النبي ﷺ لا يترك الحرس في أثناء تواجده في المدينة ؛ ولاسيما في الأوقات الحرجة ، فعندما أغار ابن حصن على سرح المدينة تتبعه النبي ﷺ وخلف في المدينة سعد بن عبادة في ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة [٥] .

أما تعبئة المسلمين في أثناء صلاتهم فكانت تتم بالصورة التي أشارت إليها الآية الكريمة : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ... ﴾ [النساء: ١٠٢] وذكر مجاهد ( ت ١٠٤هـ ) أن هذه الآية نزلت على الرسول في أثناء حصاره للمشركين بعسفان حيث اجتمع المشركون على أن يميلوا على المسلمين ميلة واحدة في أثناء صلاتهم [٦] ، وأوضحت الآية مبدأ التعبئة في أثناء الصلاة بأن يقسم المقاتلة إلى قسمين ، يصلي أحدهما خلف الإمام ، على حين يتولى الآخر عملية الحراسة ، ثم يذهب القسم الأول إلى مصافهم ليأتي القسم الآخر فيؤدي الصلاة خلف الإمام [٧] ، ويذكر البلاذري ( ت ٢٧٩هـ ) عن أحد الصحابة قوله : « صلينا مع رسول اللّه ﷺ صلاة الخوف طائفة منا خلفه وطائفة مواجهة للعدو فصلى بإحدى الطائفتين ركعة وسجدتين ثم انصرفوا وجاءت طائفة أخرى فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم قام كل واحد إلى طائفته .. » [٨] .

ولقد طبق المسلمون هذه التعبئة في صلاتهم في كثير من الوقائع فصلاها النبي ﷺ

---

(١) المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٢٩٠ ) . (٢) م . ن ( جـ١ ، ص٣١٢ ) .

(٣) أبو داود ، السنن ( جـ٢ ، ص٣١٨ ) . ابن قدامة ، المغني ( جـ١٠ ، ص٣٨٠ ، ٣٨١ ) .

(٤) المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ص٤٧٠ ، ٤٧١ ) . (٥) م . ن ( جـ١ ، ص٢٦٣ ) .

(٦) مجاهد أبو الحجاج مجاهد بن جبر ( ت ١٠٤هـ ) ، تفسير مجاهد ، تحقيق عبد الرحمن بن محمد ، إسلام آباد د . ت (ص١٧١ ، ١٧٢ ) . وانظر : النيسابوري أبا الحسن علي بن أحمد ( ت ٥٥٠هـ ) ، أسباب النزول ، بيروت ، دار الكتب العلمية ( ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م ) ، ( ص ١٢٠ ) .

(٧) الشيباني ، شرح كتاب السير ( جـ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٨ ) . ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص٦٦ ) . الزمخشري ، الكشاف ( جـ١ ، ص٥٥٩ ، ٥٦٠ ) . (٨) البلاذري ، أنساب ( جـ١ ، ص٣٤١ ) .

في غزوة ذات الرقاع [١] وفي الحديبية [٢] .

أما التعبئة في أثناء القتال فتكون بأن يصطف المقاتلةُ بعضُهم إلى جانب بعض وهو ما يسمى ( بنظام الصفوف ) [٣] وكان العرب قبل الإسلام يتبعون « نظام الكَرّ والفر » ولكن الإسلام أبطل هذا النظام ؛ لأنه لا يتناسب وعقيدةَ المسلم [٤] ، يقول ابن خلدون ( ت٨٠٨هـ ) : « إذا نظرنا إلى القتال بأسلوب الكر والفر نجد أنه مدعاة للهزيمة والفشل » [٥] ؛ ولذا فقد جعل الإسلام الفرار من الزحف من المُوبقات السَّبع [٦] ؛ لأنه يؤدي إلى إحداث فوضى في نظام الصف للجيش كله ، وقد يتسبب في الهزيمة ؛ ولذلك قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ ... ﴾ [الأنفال : ١٦] .

كان الرسول ﷺ يسوِّي الصفوف حتى يدعها كالقدح أو الرقيم [٧] ، ففي بدر ( ٢هـ ) طعن النبيﷺ في بطن سواد حيث كان خارجًا عن الصف قال له : « **استو يا سواد** » [٨] ، وفي أحد ( ٣هـ ) جعل النبي ﷺ يمشي على رجليه يسوي الصفوف ويبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ، حتى إنه ليرى منكب الرجل خارجًا فيؤخِّره حتى أقامها كالقدح فلم يزل منكب عن منكب [٩] في حين كان النبي ﷺ يعين وازعًا أحيانًا يقوم بهذا العمل كما حصل في غزوة الفتح [١٠] .

استعمل النبي ﷺ نظام الصف في معركة بدر [١١] وأحد [١٢] وفي غزوة

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص٦١ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص٣٩ ) .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص٩٥ ) . وانظر : عواد ، الجيش والقتال ( ص٢٢٣ ) .

(٣) انظر تفاصيل ذلك في : السامرائي ، نظم التعبئة ( ص٨ ) .

(٤) الكر والفر : يعني الإغار ، وهي عمل قوة خاصة يتم تسليحها وتدريبها بشكل خاص » . انظر : السامرائي ، نظم التعبئة ( ص٧ ، ٨ ) .

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ( ص٢٧١ ) ولذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [ الصف : ٤] .

(٦) مسلم ، الصحيح ( جـ١ ، ص١٦٢ ) . ابن حجر ، الفتح ( جـ٥ ، ص٣٩٣ ) .

(٧) ابن خلدون ، المقدمة ( ص٢٧١ ) . وانظر : الزمخشري ، الفائق ( جـ٢ ، ص٣٢٠ ، ٣٢١ ) . الهرثمي ، مختصر ( ص٦٥ ) .

(٨) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٥٦ ، ٥٧ ) . ابن هشام ، السيرة ( م١ ، ص٦٢٦ ) .

(٩) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٢٢١ ) . ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص٢٣٩ ) . البلاذري ، أنساب ( جـ١ ، ص٣١٥ ) .

(١٠) الكتاني ، التراتيب الإدارية ( جـ١ ، ص٣٢٩ ) . وانظر : عواد ، الجيش والقتال ( ص٢٢٦ ) .

(١١) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٥٦ ، ٥٧ ) . ابن سعد ، الطبقات ( جـ٣ ، ص٥١٧ ) .

(١٢) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص٢٣٩ ) . البكري أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن ( ت٩٥٢هـ ) ، غزوة =

المريسيع [١] وكان النبي ﷺ يجعل في الصف الأول حاملي الرماح لصد هجمات الفرسان ثم يليهم حاملو السهام والسيوف في الصف الثاني والثالث ويقف الفرسان على ميمنة الجيش وميسرته ، فإذا التقى الجمعان يحدث عدد من المبارزات الشخصية ثم تزحف صفوف المسلمين قدمًا واحدة حتى تصطدم بالعدو [٢] .

وذكرت المصادر أن النبي ﷺ قام بما يسمى « بتعبئة الأمة » وذلك من خلال عد المسلمين وإحصائهم ، يذكر البخاري ( ت٢٥٦هـ ) أن النبي ﷺ قال : « **اكتبوا لي من تلفَّظ بالإسلام من الناس** » فكتبنا له ألفًا وخَمسمِائة رجلٍ ، فقلنا : نخاف ونحن ألف وخمسمائة ... [٣] ، وربما أراد النبي ﷺ من معرفة أعداد المسلمين قوة المسلمين لوضع خطة ملائمة لهذا العدد وتقدير قوتهم وتكاليف تجهيزهم بالأسلحة والطعام إلى غير ذلك ، وقد ورد أن النبي ﷺ كان يكتب عدد المقاتلة في بعض الغزوات فيروي البخاري ( ت٢٥٦هـ ) أن النبي ﷺ قال : « **لا يخلون رجل بامرأة ولا تسافرن امرأة إلا ومعها محرم** » فقال رجل : يا رسول اللَّه ﷺ إني اكتتبت في غزوة كذا وكذا وخرجت امرأتي حاجة .. » [٤] ولم تسعفنا المصادر عن طبيعة هذا الإحصاء ، أو عن استمرارية الاكتتاب في الغزو ، أو تسجيل جميع الجند ، والروايات السابقة تدل على أنه حصل في غزوات معينة [٥] .

* * *

---

= أحد ( مخطوط ) مصور في الجامعة الأردنية ، مركز الوثائق والمخطوطات شريط رقم ( ٣٥ ) ورقة .

(١) ابن القيم ، زاد ( جـ٢ ، ص١١٢ ) .

(٢) السامرائي ، نظم التعبئة ( ص٩ ) .

(٣) البخاري ، الصحيح ( جـ٤ ، ص٨٧ ) .

(٤) م . ن ( جـ٤ ، ص٨٧ ، ٨٨ ) .

(٥) انظر تفاصيل هذه المسألة في : عبد العزيز عبد اللَّه السلومي ، ديوان الجند نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون ، ( ط١ ) ، مكة المكرمة ، مكتبة الطالب الجامعي ( ١٩٨٦م ) ، ( ص٨٢ - ٨٦ ) .

## رابعًا : التخطيط وأساليب القتال

لم يكن وضع الخطة من مسؤولية الأمير وحده ، بل كان ذلك بعد المشاورة مع المقاتلة أو بعضهم ، فقد استشار الرسول ﷺ أصحابه في بدر [١] وأحد [٢] كما استشار أصحابه في الخروج من المدينة أو البقاء فيها عند مهاجمة الأحزاب لهم في الخندق ( ٥هـ ) [٣] .

وقد اهتم القادة باختيار الموقع الملائم لميدان المعركة فقد أشار حباب بن المنذر على الرسول ﷺ عند نزوله على حصن النطاة بخيبر قائلًا : « إن جميع مقاتلة خيبر فيه وهم يدرون أحوالنا ولا ندري أحوالهم وسهامهم تصل إلينا وسهامنا لا تصل إليهم ولا نأمن بياتهم » [٤] وقد قدر أهل ثقيف أهمية مرتفعات حنين فاحتلوها قبل وصول النبي ﷺ واحتلوا وادي حنين نفسه [٥] .

كان من خطط النبي ﷺ في غزواته محاولته قطع اتصالات الأعداء وإمداداتهم ، فقد ذكر ابن إسحاق ( ت١٥١هـ ) أن النبي ﷺ في غزوة خيبر ( ٧هـ ) نزل بجيشه بواد يقال له : الرجيع وذلك ما بين غطفان وأهل خيبر ليحول بينهم وبين أن يمدوا خيبر إذا كانوا مظاهرين لخيبر على رسول اللّه ﷺ [٦] .

واهتم الرسول ﷺ بطبيعة الأرض التي يقاتل عليها حيث نزل على أدنى ماء في بدر وبنى عليه حوضًا وغوَّر ما سواه من القلب [٧] . كما تجنب النزول في الأرض الموحلة كما فعلت قريش [٨] ، قال ابن إسحاق ( ت ١٥١هـ ) فأصاب رسول اللّه منها ما لبد

---

(١) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٤٨ ) . المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٧٣ - ٧٥ ) .
(٢) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٢١٤ ) . البكري ، غزوة أحد ، ورقة ( ١٥ ) .
(٣) المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٢٢٠ ) .
(٤) الديار بكري ، تاريخ الخميس ( جـ٢ ، ص٥٠ ) .
(٥) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٤٣٨ ، ٤٣٩ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص١٢٨ ) .
(٦) الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص٩٢ ) ( ابن إسحاق ) . ابن كثير ، البداية والنهاية ( جـ٤ ، ص١٨١ ) .
(٧) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٥٣ ، ٥٤ ) .
(٨) وقد وضحت الآية هذا المعنى فقال اللّه تعالى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [ الأنفال : ١١ ] .

لهم من الأرض ولم يمنعهم من المسير وأصاب قريشًا ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه [١] وقد أشار الحباب في التحول من قرب حصن النطاة في خيبر ؛ وذلك لكونه بين نخيلات في مكان غائر وأرض وخيمة [٢] .

وينتظر الإفادة من طبيعة الأرض ، فقد ذكر أن الرسول ﷺ جعل ظهره وعسكره إلى جبل أحد حين خرج للقاء المشركين هناك [٣] وقد استفاد النبي ﷺ في مسيره إلى أحد من الليل إذ أمر جيشه بالمسير بعد منتصف الليل ، وسلك طريقًا بين الضفتين حيث يختفي الأفراد ، ويخفى الصوت والجلبة في نفس الوقت فقال عليه السلام : « **من يخرج بنا على القوم عن كثيب** - أي عن طريق قريب - **لا يمر بنا عليهم** » فمر به أبو خيثمة حتى دخل في بستان أحد المنافقين [٤] ، واستفاد النبي ﷺ من جبل سلع في الخندق ( سنة٥هـ ) فجعله خلف ظهور المسلمين [٥] .

وقد تقام بعض العوائق في وجه تقدم العدو كالخنادق كما فعل الرسول ﷺ في غزوة الخندق [٦] ، وكذلك اهتم المقاتلون بالظواهر الجوية السائدة في ميدان المعركة ففي بدر ( ٢هـ ) جعل الرسول ﷺ الشمس خلفه فكانت في عيون أعدائه فتضعف قوة أبصارهم وتغشي عيونهم عن رؤية خصومهم [٧] ؛ ولهذا قال الهروي ( ت٦١١هـ ) : « فليجتهد في أن تكون الشمس في عين العدو » [٨] .

وكان من خطط الرسول ﷺ الحرص على التكتم والسرية في وضع خططه الحربية وتنفيذها ؛ لأن ذلك من أهم متطلبات النجاح ، فكان إذا أراد أن يغزو غزوة ورى ( أظهر ) بغيرها [٩] ، وذكر الواقدي ( ت٢٠٧هـ ) أن الرسول ﷺ كتب كتابًا إلى

---

(١) ابن حزم ، جوامع ( ص١١١ ، ص١١٢ ) . ابن القيم ، زاد ( جـ٢ ، ص٨٧ ) .

(٢) الديار بكري ، تاريخ الخميس ( جـ٢ ، ص٥٠ ) .

(٣) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٦٥ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٥٠٧ ( ابن إسحاق ) . المسعودي ، مروج الذهب ( جـ٢ ، ص٣٧٦ ، ٣٧٧ ) .

(٤) الحلبي ، السيرة ( جـ٢ ، ص٢٩١ ) . وانظر : محمد أبو فارس ، غزوة أحد ( ط١ ) عمان ، دار الفرقان ( ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م ) ، ( ص٦٠ ) .

(٥) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٢٠٠ ) . ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص٦٦ ، ٦٧ ) .

(٦) الواقدي ، المغازي ( جـ٢ ، ص٤٧٠ ) . المسعودي ، التنبيه والإشراف ( ص٢١٦ ) .

(٧) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٥٦٠ ) . وانظر : ابن العربي المالكي محمد بن عبد الله ( ت٥٤٣هـ ) ، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د . ت ( جـ٧ ، ص١٧٤ ، ١٧٥ ) .

(٨) الهروي ، التذكرة ( ص٩٧ ) . (٩) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٨ ، ص١٦٧ ) .

عبد اللَّه بن جحش وأمره ألا يفتحه إلا بعد يومين من مسيره ، وهو بذلك يكون أول من ابتكر أسلوب « الرسائل المكتومة » [١] للمحافظة على الكتمان وحرمان العدو من الحصول على المعلومات التي تفيده عن تحركات المسلمين ، وفي غزوة بني سليم خرج الرسول ﷺ ولم يظهر وجهًا [٢] ، وكذلك فعل في غزوة بني لحيان حيث أظهر أنه يريد الشام ليأخذ القوم على حين غرة ، وكذلك فعل في غزوة الفتح فقد أسر الرسول ﷺ لكل قائد من قواده ، وأمره أن يلقاه في موضع سماه له وأن يكتم ما قاله له [٣] .

ولقد حَرَصَ الرسول ﷺ في قيادته لجنده أن يرفع الروح المعنوية لديهم وبقاءها كذلك ، فقد عمد الرسول ﷺ إلى مطاردة أعدائه بعد غزوة أحد حتى بلغ حمراء الأسد [٤] ، وفي مؤتة ( ٨هـ ) خطب عبد اللَّه بن رواحة وأثار فيها الروح المعنوية [٥] ، وقال النبي ﷺ عندما رجعوا : « **بل كرار إن شاء اللَّه** » [٦] وحرص النبي ﷺ كذلك على إخفاء بعض الأمور والأخبار التي تضعف الروح المعنوية ، ففي أحد ( ٣هـ ) أمر عليًا أن يستطلع سير قريش وأن يخفي ذلك [٧] وفي الخندق ( ٥هـ ) بلغ رسول اللَّه ﷺ نقض بني قريظة للعهد فبعث نفرًا من المسلمين ليتبينوا الأمر وقال لهم : « **انطلقوا فإن كان ما قيل حقًّا فَالْحِنُوا لي لحنًا أعرفه** » [٨] ، وكذلك حَرَصَ على عدم نشر الشائعات بين المسلمين ، يتضح هذا من قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [ النساء : ٨٣] .

وكانت « الخدعة » إحدى وسائل النبي ﷺ في حربه مع أعدائه فقال : « **الحرب خدعة** » [٩] ، وذكر ابن إسحاق ( ت١٥١هـ ) أن الرسول ﷺ أذن للنفر الذين بعثهم لقتل ابن الأشرف ( ٣هـ ) أن يقولوا ما يشاؤون من كلام يخدعون به [١٠] ، وفي الخندق تحرك النبي ﷺ من هذا المفهوم « الحرب خدعة » وراوغ عيينة بن حصن ليعطيه

---

(١) انظر : محمود شيت خطاب ، الرسول القائد ( ط٥ ) بيروت ، دار الفكر ( ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م ) ، ( ص٩٤ ) .
(٢) المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص١١٢ ) .
(٣) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٢٧٩ ) . ابن القيم ، زاد المعاد ( جـ٢ ، ص١١٩ ) . الديار بكري ، تاريخ الخميس ( جـ٢ ، ص٤ ) .
(٤) اليعقوبي ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٤٨ ) .
(٥) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص١٣٨ ) .
(٦) الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص١٠٧ ، ١٠٨ ) .
(٧) م . ن ( جـ٣ ، ص٢٤ ، ١١٠ ) ( ابن إسحاق ) .
(٨) م . ن ( جـ٣ ، ص٢٧ ) .
(٩) الشيباني ، شرح كتاب السير ( جـ١ ، ص١٢٠ ) . مسلم بشرح النووي ( جـ١٢ ص٤٢ ، ٤٣ ) .
(١٠) الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص٥٠ ، ٥١ ) .

ثلث ثمار المدينة [١] على أن يعود هو وقومه عن حصار المدينة ، وربما كان المقصود الحقيقي للنبي ﷺ من مراوغة عيينة هو إحداث شرخ كبير في صفوف المشركين وتمزيق روابطهم ، وهو نموذج من نماذج السياسة الحكيمة التي أدار الرسول ﷺ بها الموقف [٢] ، وكذلك توجيه رسول اللّه ﷺ لنعيم بن مسعود الذي أسلم حديثًا في أنه يخذل عن المسلمين في غزوة الخندق [٣] ، وهذا من قبيل السياسة الحكيمة التي أدار الرسول ﷺ بها الموقف التي يكون فيها الرأي أنفعُ من الشجاعة والمواجهة وتدخل تحت معنى « الحرب خدعة » ، يقول ابن العربي ( ت٥٤٣هـ ) : « الخداع في الحرب يقع بالتعريض وبالكمين وفي الحديث والإشارة إلى استعمال الرأي في الحرب ، بل الاحتياج إليه أكثر من الشجاعة » [٤] .

واستعمل النبي ﷺ في حروبه « الشعار والشارة » وهو ما يسمى في الجيوش الحديثة « بكلمة السر » فالشعار يوقظ في النفس العزة والشجاعة [٥] ويستعمل للأهمية [٦] فقد روى رافع بن خديج في حديثة عن غزوة أحد : « فكنا أتينا من قبل أنفنا ومعصية نبينا واختلط المسلمون فصاروا يقتتلون على غير شعار ويضرب بعضهم بعضًا ما يشعرون من العجلة والدهشة » [٧] وأضاف البلاذري ( ت٢٧٩ هـ ) « وضرب بعض المسلمين بعضًا حين اختلطوا ولم يدركوا شعارًا وأظهر المسلمون الشعار بعد ذلك فجعلوا يصيحون أمت أمت فكف المسلمون بعضهم عن بعض » [٨] وأشار الواقدي ( ت٢٠٧هـ ) إلى أهمية الشعار ليلًا في حديثه عن غزوة الخندق فقال : « خرجت طليعتان للمسلمين ليلًا فالتقتا ولا يشعر بعضهما ببعض ولا يظنون إلا أنهم العدو فكانت فيهم جراحة وقتل ، ثم نادوا بشعار الإسلام ( حم لا ينصرون ) فكف بعضهم عن بعض ، فكانوا بعد ذلك إذا دنا بعضهم من بعض نادوا بشعارهم » [٩] .

لقد كان لكل فرقة شعار خاص إضافة إلى شعار عامة الجيش ؛ ولهذا قال الشيباني ( ت١٨٩هـ ) : « وينبغي أن يتخذ كل قوم شعارًا إذا خرجوا في مغازيهم ، حتى إن

---

(١) الزهري ، المغازي ( ص٧٩ ) . (٢) عرجون ، محمد رسول اللّه ( جـ٤ ، ص١٧٩ ) .
(٣) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٢٢٩ - ٢٣١ ) . وانظر : عرجون ، محمد رسول اللّه ( جـ٤ ، ص١٨١ ، ١٨٢ ) .
(٤) الشوكاني ، نيل الأوطار ( جـ٨ ، ص٥٧ ، ٥٨ ) ( ابن العربي ) .
(٥) الجزائرلي ، محمد بن محمود بن حسين ( ت ١٢٦٧هـ ) ، اختصار السعي المحمود في نظام الجنود (مخطوط ) مصور في مركز الوثائق والمخطوطات ، الجامعة الأردنية رقم الشريط ( ١٢ ) ورقة ( ٥ ) .
(٦) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٧١ ، ٢٣٤ ) . (٧) م . ن ( جـ١ ، ص٢٣٣ ) .
(٨) البلاذري ، أنساب ( جـ١ ، ص٣٢٢ ) .
(٩) الواقدي ، المغازي ( جـ٢ ، ص٢٧٤ ) . وانظر : المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٣٣٤ ) .

ضل الرجل عن أصحابه نادى بشعارهم ، وكذلك ينبغي أن يكون لأهل كل راية شعار معروف ، حتى إن ضل الرجل عن أهل رايته نادى بشعارهم فيتمكن من الرجوع إليهم »[١] ؛ ولذلك فقد كان شعار عامة المسلمين في بدر « يا منصور أمت »[٢] ، وكان شعار المهاجرين « يا بني عبد الرحمن » ، وشعار الخزرج « يا بني عبد اللّه » ، وشعار الأوس « يا بني عبيد اللّه »[٣] ، واستعمل شعار « يا منصور أمت » في غزوة المريسيع[٤] وخيبر ( ٧هـ )[٥] وفتح مكة ( ٨هـ ) وحنين ( ٨هـ ) والطائف ( ٩هـ )[٦] ، واستعمل شعار « أمت أمت » في أحد ( ٣هـ )[٧] وفي سرية زيد بن حارثة[٨] .

وكان هناك نداءات خاصة يصدرها القادة للجند فعند إغارة عيينة بن حصن على المدينة ( ٦هـ ) نادى ابن الأكوع « القزع . القزع »[٩] واستعمل نداء « يا خيل اللّه اركبي »[١٠] إذا ما أريد نداء الفرسان لركوب خيلهم فقد نودي بذلك في غزوة الخندق ( ٥هـ ) وبني قريظة ( ٥هـ ) وغزوة ذي قرد ( ٦هـ )[١١] .

ويذكر أن بعض المقاتلة كانوا يتخذون « سيما »[١٢] يعرفون بها في أثناء القتال وهي عبارة عن علامة يُعلَّم بها المقاتل أو مجموعة من المقاتلين ، ففي بدر ( ٢هـ ) نزلت الملائكة مسوَّمة ( معلَّمة ) يشير إلى ذلك القرآن الكريم بقوله : ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٥] وكان النبي ﷺ قد طلب من أصحابه أن يسوموا فقال : « **تسوموا فإن الملائكة قد تسومت** »[١٣] ويذكر الواقدي ( ت ٢٠٧هـ )

---

(١) الشيباني ، شرح كتاب السير ( جـ١ ، ص٧٣ ) . (٢) م . ن ( جـ١ ، ص٧٣ ) .
(٣) الشيباني ، شرح كتاب السير ( جـ١ ، ص٧٤ ) . المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٦٧ ) . الجزائرلي ، اختصار ورقة ( ٥ ) . الكتاني ، التراتيب الإدارية ( جـ١ ، ص٣٢٨ ) .
(٤) الشيباني ، شرح كتاب السير ( جـ١ ، ص٧٤ ) . (٥) المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٣١١ ) .
(٦) ابن هشام ، السيرة ( م١ ، ص٦٣٤ ) ( م٢ ، ص٢٩٤ ) .
(٧) م . ن ( م٢ ، ص٦٨ ) .
(٨) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ص٨٧ ) . (٩) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٢٨٢ ) .
(١٠) الواقدي ، المغازي ( جـ٢ ص٤٦٦ ) .
(١١) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص٨٠ ) . الزمخشري ، الفائق ( جـ١ ، ص٢٩٩ ) . الديار بكري ، تاريخ الخميس ( جـ٢ ، ص٦ ) .
(١٢) أبو عبيدة ، مجاز القرآن ( جـ١ ، ص١٠٣ ) . الجزائرلي ، اختصار ، ورقة ( ٥ ) .
(١٣) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٧٦ ) . ابن قتيبة ، تفسير ( ص١٠٩ ) . المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٨٦ ) . الجزائرلي ، اختصار ، ورقة ( ٥ ) . الكتاني ، التراتيب الإدارية ( جـ١ ، ص٣٢٩ ) .

أن أبا دجانة عصب رأسه بعصابة حمراء في بدر ، وكان إذا عصبها علم الناس أنه سيقاتل [١] ، وأشار ابن إسحاق ( ت١٥١هـ ) أن المسلمين كانت شارتهم في بدر الصوف الأبيض يعلقونه في نواصي الخيل وآذانها [٢] وكان على الزبير في بدر عصابة صفراء [٣] ، وفي أحد ( ٣هـ ) كان حمزة معلَّمًا بريشة نعامة يغرزها في صدره دائمًا [٤] وكذلك عُلِّم عبد اللَّه بن جبير ( ت ٣هـ ) أمير الرماة بثياب بيض [٥] ، وكان بنو سليم يعرفون بأنهم إذا خرجوا للقتال وضعوا رماحهم بين آذان خيلهم [٦] وأن الأوس والخزرج كان يعرضونها على خيلهم [٧] ، ويؤيد هذا المعنى أن وفد بني سليم عندما جاؤوا لعرض إسلامهم على الرسول ﷺ اشترطوا عليه أن يجعل لواءهم أحمر وأن يجعله شعارهم وشارتهم فأجابهم إلى طلبهم [٨] وذكر ابن العربي ( ت٥٤٣هـ ) : « أن الاشتهار بالعلامة في الحرب سنة ماضية ، وهي هيئة باهية قصد بها الهيبة على العدو ، والإغلاظ على الكفار ، والتحريض للمؤمنين ، والأعمال بالنيات ، وهذا من باب الجليات لا يفتقر إلى برهان » [٩] .

ويبدأ القتال عادة بتحريش أحد الطرفين بالآخر ، ففي بدر أمر المشركون عمير بن وهب أن يحرش بين الناس ، فحمل وناوش المسلمين [١٠] . وذكر الواقدي ( ت ٢٠٧هـ ) أن أول من أنشب القتال في أُحد أَحد المشركين إذ طلع في خمسين من قومه مع عبيد قريش فترامو بالحجارة هم والمسلمون حتى تراضخوا بها ساعة [١١] .

ويتلو التحريش عادة طلب المبارزة ، وتتخذ المبارزة صورة فردية حينًا ، ففي بدر خرج عتبة بن ربيعة وابنه الوليد وأخوه شيبة وطلبوا المبارزة [١٢] .

(١) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٧٦ ) . ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٦٦ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص١٥ ) ( عروة ) .

(٢) م . ن ( جـ١ ، ص٧٦ ) . المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٨٧ ) .

(٣) المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٧٦ ) .

(٤) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٢٥٩ ) . ابن قتيبة ، تفسير ( ص١٠٩ ) . وانظر : عون ، الفن الحربي ( ص٢٥٦ ) .

(٥) ابن سيد الناس ، عيون الأثر ( جـ٢ ، ص١٠ ) . (٦) ابن هشام ، السيرة ( م٢ ، ص٤٥٦ ) .

(٧) م . ن ( م٢ ، ص٤٥٦ ) . والكتاني ، التراتيب الإدارية ( جـ١ ، ص٣٢٣ ) .

(٨) الجاحظ عمرو بن بحر ( ت٢٥٥هـ ) ، البيان التبيين ، تحقيق فوزي عطوى ، بيروت ، ( ١٩٦٨م ) ، ( جـ٣ ، ص٩٩ ) .

(٩) ابن العربي ، أحكام القرآن ( جـ١ ، ص٢٩٧ ) .

(١٠) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٦٥ ) . ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص١٧ ) . الذهبي ، تاريخ ( جـ١ ، ق١ ، ص٩٧ ) .

(١١) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص٤٠ ) . المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص١٢٣ ) .

(١٢) الشيباني ، شرح ( جـ١ ، ص١٧٤ ) . الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٦٨ ) . ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، =

ولقد كان النبي ﷺ يوجه جنده إلى أساليب القتال فقال لهم يوم بدر : « **إذا أكثبوكم فارموهم بالنبل ولا تَسُلوا السيوف حتى يغشوكم** » (١) وكان يقول : « **إذا جاؤوكم يزحفون ويصيحون فعليكم الأرض جلوسًا ثم قولوا : اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك فإذا غشوكم فثوروا في وجوههم** » (٢) .

وقد يتفق أميرا الجيشين المتنازعين على أن المبارزة تحسم النزاع وتحقن دماء الناس ، وإذا لم تحقن المبارزة دماء الفريقين يبدأ التزاحف ويلتقي الجيشان كما حصل في بدر (٣) وأحد (٤) ، وعند اقتراب المهاجمين من صفوف المسلمين تستخدم الرماح وعند الالتحام يفضي المقاتلة إلى السيوف (٥) ، فقد أوصى النبي ﷺ في بدر أصحابه « **إذا أكثبوكم فارموهم ولا تَسُلوا السيوف حتى يغشوكم** » (٦) وطبق المسلمون ذلك بدقة ، يقول أحد الصحابة : « فرأيت أصحاب رسول اللّه يوم بدر لا يسلُّون السيوف وقد انتضوا القِسِي وقد تترس بعضهم عن بعض بصفوف متقاربة لا فرَج بينها ، والآخرون قد سلُّوا السيوف حين طلعوا ، فعجبت من ذلك فسألت أحد المهاجرين بعد ذلك فقال : أمرنا رسول اللّه ألَّا نَسُلَّ السيوف حتى يغشونا » (٧) .

وكانت أحب أوقات اللقاء إلى رسول اللّه ﷺ أول النهار ، فإن لم يقاتل أول النهار أخر ذلك إلى وقت الزوال حتى يحل وقت الصلاة وتهب الرياح ويدعو المسلمون (٨) . وعن أنس بن مالك ( ت ٩١هـ ) قال : « كان رسول اللّه إذا غزا قومًا لم يغر عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذانًا أمسك ، وإن لم يسمع أذانًا أغار » (٩) ، وعندما غزا النبي ﷺ خيبر لم يغر عليهم حتى أصبح (١٠) ، وكان من جملة وصايا القادة للمقاتلة أن يلزموا الصمت عند احتدام المعارك ، فقد ذكر عبد اللّه بن عمر ( ت ٧٣هـ ) قول

---

= ص١٧ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٢ ، ص٤٤٥ ) .

( ١ ) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٦٧ ) . البيهقي الدلائل ( جـ٣ ، ص٧٠ ) .

( ٢ ) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٦٧ ) .

( ٣ ) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٢ ، ص٤٠ ، ٤١ ) . الذهبي ، تاريخ ( جـ١ ، ق١ ، ص٩٦ ، ٩٧ ) .

( ٤ ) ابن كثير ، البداية والنهاية ( جـ٤ ، ص١٠٥ ) .

( ٥ ) انظر قول عبد اللّه بن حرام في بيعة العقبة الثانية في : ابن سعد ، الطبقات ( جـ٤ ، ص٧ ، ٨ ) .

( ٦ ) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٦٧ ) . ( ٧ ) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٦٧ ، ٦٨ ) .

( ٨ ) مسلم ، الصحيح ( جـ٣ ، ص١٣٦٢ ) . ابن حجر ، الفتح ( جـ١٢ ، ص٢٠١ ) . المالقي ، الشهب ( ص٤٠٢ ) .

( ٩ ) أبو يوسف ، الخراج ( ص٢٠٨ ) . ابن سيد الناس ، عيون الأثر ( جـ٢ ، ص١٧٠ ) .

( ١٠ ) الترمذي ، الصحيح ( جـ٧ ، ص٣٥١ ) .

الرسول ﷺ : « **لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا اللّه العافية ، فإذا لقيتموهم فاثبتُوا واذكروا اللّه ، فإن اجتمعوا وصاحوا فيكم فعليكم بالصمت** » (١) ؛ ولهذا فقد قال عمير بن وهب لأصحابه يوم بدر : « أما تَرَوْنَهم خُرْسا يتلمَّظون تلمظَ الحيَّات » (٢) وتتضح حكمة ذلك من قول ابن العربي ( ت ٥٤٣هـ ) : « ولعل ذلك أن كَثرة الصوت اللفظي والصراخ مكروهةٌ ؛ لأن التصويت في ذلك الوقت ربما يكون مشعرًا بالفزع والفشل ، وفيه دليل على الثبات ورباط الجأش » (٣) .

أما في حالة الانتصار فكان الرسول ﷺ يبعث مجموعة من الخيالة لاتباع فلول العدو ، فذكر الواقدي ( ت٢٠٧هـ ) أن النبي ﷺ بعث في غزوة الفتح نفرًا من أصحابه على الطلب فبعث خالد بن الوليد على وجه ، وعمرو بن العاص على وجه ، وبعث أبا عامر الأشعري إلى عسكر بأوطاس (٤) ، وكذلك فعل الرسول ﷺ في حنين عقد لأبي عامر الأشعري على خيل الطلب ، وأمره أن يطلب فلول المشركين حيث انهزمت (٥) .

وأخيرًا فإن للقتال عند المسلمين آدابًا حَرصُوا عليها ، فقد حرَّم الإسلام قتل مَن لا يقدِر على القتال من عدوهم ، فقد أوصى الرسول ﷺ قوَّاده بقوله : « **ولا تقتلوا وليدًا** » (٦) ، ذكر ابن عمر ( ت٧٣هـ ) أن الرسول ﷺ وجد امرأة مقتولة في بعض مغازيه فأنكر فعل ذلك (٧) ، وكان يقول : « **ولا تقتلوا وليدًا أو امرأة ...** » (٨) ، وأوصى النبي ﷺ أصحابه بعدم الغدر « .... **ولا تغدروا ...** » (٩) ، وعدم المُثْلة « .. **ولا تمثِّلوا ....** » (١٠) ، وعدم الاعتداء على الأرض أو العاملين فيها إلا إذا كانت الأرض تزود الأعداء بالمؤن ، فقال : « **لا تقتلوا ذرية ولا عسيفًا** » (١١) ، وقام

---

(١) منكلي محمد بن محمود ( ت ٧٧٨ هـ ) ، التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية ، تحقيق صادق محمد الجميلي ، مجلة المورد ، بغداد ، ( ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٣م ) ، ( م١٢ ،ص٤ ، ٣٣٨ ) .

(٢) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٦٢ ) .

(٣) أبو داود ، السنن ( جـ٣ ، ص٤ ) .

(٤) الواقدي ، المغازي ( جـ٢ ، ص٨١٠ ) .

(٥) ابن سعد ، الطبقات ( جـ٧ ، ص٤٠٠ ) .

(٦) الشيباني ، شرح ( جـ١ ، ص٩٣ ) . مسلم ، الصحيح ( جـ٣ ، ص١٣٥٧ ) .

(٧) مسلم ، الصحيح ( جـ٣ ، ص١٣٦٤ ) . المقريزي ، إمتاع ( جـ١ ، ص٤١٢ ) .

(٨) مسلم ، الصحيح ( جـ٣ ، ص١٣٦٤ ) . ابن سلام ، الأموال ( ص٥٣ ) .

(٩) الشيباني ، شرح ( جـ١ ، ص٩٣ ) . مسلم ، الصحيح ( جـ٣ ، ص١٣٥٧ ) .

(١٠) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٢٩٠ ) . النيسابوري ، أسباب ( ص١٩٢ ) . الزمخشري ، الكشاف ( جـ٢ ، ص٤٣٥ ) .

(١١) ابن سلام ، الأموال ( ص٥٣ ) .

النبي ﷺ بقطع نخل بني النضير ، وحرق أولها حتى يضعف شوكة اليهود [١] ، وقد جاءت الإشارة القرآنية تؤيد هذا الفعل فقال تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الحشر : ٥] وذكر الشيباني ( ت١٨٩هـ ) أن النبي ﷺ أوصى أسامة أن يُغير صباحًا ويحرِّق [٢] ، وفي غزوة الطائف أمر النبي ﷺ بقطع الكروم حتى يضعفَ من مقاومة أهلها [٣] ، ويذكر أن النبي ﷺ مَّر بأوطاس - يريد الطائف - فمرَّ بقصر مالك بن عوف فأمر به فحرق [٤] .

لقد كانت آداب الإسلام تقضي أن لا يُجَهز علي جريح ، فقال الرسول ﷺ يوم فتح مكة : « **ألا لا تجهزنَّ علي جريح ...** » [٥] ، وألَّا يَتْبَع من هرب من ساحة القتال لقتله « ... **ولا يُتْبعنَّ مدبرًا ...** » [٦] ، وكذلك أمر الإسلام بالإحسان إلي الأسرى وعدم قتلهم « ... **ولا يقتلن أسيرًا ...** » [٧] ، وجاءت الآية الكريمة تشعر بذلك فقال تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان : ٨] .

* * *

(١) الواقدي ، المغازي ( جـ١ ، ص٣٧٢ ) . الشافعي ، الأم ( جـ٤ ، ص٢٥٨ ) . البيهقي ، دلائل ( جـ٣ ، ص١٨٤ ) .

(٢) الشيباني ، شرح ( جـ١ ، ص٥٤ ) . وانظر : الشافعي ، الأم ( جـ٤ ، ص٢٥٨ ) .

(٣) الشيباني ، شرح ( جـ١ ، ص٥٥ ) الشافعي ، الأم ( جـ٤ ، ص٢٥٨ ) . الطبري ، تاريخ ( جـ٣ ، ص١٣٣ ) ( الواقدي ) .

(٤) الشيباني ، شرح ( جـ١ ، ص٥٤ ) .

(٥) ابن سلام ، الأموال ( ص٩١ ) .

(٦) م . ن ( ص٩١ ) .

(٧) م . ن ( ص٩١ ) .